ما وَرَاءَ المَوْت

حين يدنو الإنسانُ من المرحلةِ الموصوفةِ في الفصلِ الأخيرِ من سفرِ الجامعة، وتُنتزعُ منه «نسمة حياة» وتتحولُ عناصرُ جسمِه إلى ترابٍ، عندها يلفظ آخرَ النسمات، ويكفُّ قلبه عن الخفقانِ، ويتوقف دمُه عن الجريانِ، وينقطع ذهنُه عن العملِ فتذهبُ قدرتُه على التفكيرِ، ولم يعُدْ يحوي شيئاً من العلمِ والعرفان، فماذا أصاب ضميره ووجدانه؟ قد مضيا، وبالاجمال فإن كل عواملِ الشعورِ والإدراكِ تبطلُ في الحالِ، ويأخذ الجسمُ في الانهيارِ والانحلالِ، وعندئذٍ يرجع الترابُ إلى الأرضِ، كما كان، وترجع الروحُ إلى الله الذي أعطاها.

الفهرس

١	الحياة بشرط وبغير شرط	٥
٢	الخلود	١٤
٣	خلق الإنسان	٣٠
٤	الموت	٢٧
٥	أجرة الخطية	٣٥
٦	عقاب الأشرار	٣٨
٧	الرّوحانية	٥١
٨	المجيء الثاني للمسيح	٦٧
٩	للألف السنة ونهاية الأشرار	٧٧
١٠	جزاء الأبرار	٩٠

الفصل الأول

الحياة بشرط وبغير شرط

ان أقصى ما يمتد إليه بصر الإنسان لا يتجاوز حد الموت، فالموت يضع حداً لكل تدابير البشر وآمالهم وأفراحهم، هذا، والعقل البشري لا يستطيع ان يهتك أستاره أو يعلن أسراره. كذلك الآراء والنظريات الفلسفية التي فاقت الحصر لم تستطع أن تبدد ظلامه الحالك، إنه سحابة كثيفة قاتمة تخيّم على العقول، وليس إلى اختراقها سبيل، فبوسع الإنسان أن يتجول بين فروع العلم ويستقصي اعمق الأفكار التي جاد بها أحكم الحكماء فلا يجد بينها خيطا واحداً من النور يستطيع أن يخترق ذلك الظلام المطبق على القبر.

بين النظريات كافةً التي نظروها بهذا الصدد يعتنق المؤمنون ثلاثاً منها هي البارزة بينها.

ولعل معتنقي اول هذه المذاهب الثلاثة يشكلون القسم الأكبر من المؤمنين وهو يقول إن كل الناس، سواء أكانوا أبراراً أو أشراراً، هم خالدون، خالدون بالوراثة، وبالطبيعة، وعليه فعند الموت تنطلق نفوسهم إلى عالم الخلود – أي أن أرواح الأبرار تحيا في سعادة وهناء، وأرواح الأشرار في عذاب وشقاء.

والمذهب الثاني شبيه بالأول في افتراضه أن جميع الناس خالدون بالطبيعة، إلا أنه يختلف في كونه يعلّم بأن جميع الناس خالدون بالطبيعة، إلا أنه يختلف في كونه يعلّم بأن الأشرار، في مدى غير محدود، قرباً أو بعداً، بطريقة ما

ليست واضحة الوضوح الكافي، يرجعون إلى نعمة الله وعندها يشاركون الأبرار في الخلود والتمتع بالسعادة والنعيم.

وأتباع المذهب الثالث ينكرون المذهبين السالفي الذكر القائلين بخلود النفس الوراثي أو الطبيعي، وهم يعتقدون بأن الخلود هبة مجانية من الله، ولا يعطاها إلا الذين يقبلونها بالإيمان من المسيح يسوع، وعليه فإن الذين يقبلون يسوع المسيح هم وحدهم الذين سيظفرون بالخلود، وأبعد من ذلك، أنّ الذين لا يحصلون عليه من هذا الطريق فليس لهم خلود قطعاً، ولن يكون لهم، وأنهم سيبيدون في يوم الدين إلى الأبد، وهذا المذهب يعلّم بأن الصالحين فقط سيخلدون، ولهذا يمكننا أن نسميه مذهب الخلود أو الحياة بشرط.

من الواضح جداً أنه ما لم يكن لدينا مرجع الهي قاطع نرجع إليه ونقابل به جميع الآراء والمذاهب يصبح من العبث أن نبدأ البحث، كما أن هذا الموضوع لا يمكن حسمه والبت فيه بناء على ما يعتقده أحد الناس، أو ما تعلّم به احدى الطوائف، أو ما يوصى به أي مجمع كنسي ما دام أنّ الفصل فيه لا يمكن أن يتم بالعقل المجرد، وانما يجب أن يُحك على مقياس شرعي فاصل ويقابل به على مرجع ثقة يضع حدا لكل نزاع.

المرجع الإلهي

هل من إعلان يكفينا مؤونة البحث؟ أجل، فإن الله عليم بكل امر ولا يغرب عن إدراكه شأن من شؤون البشر، «يعلم ما هو في الظلمة، وعنده يسكن النور» «ليس فيه ظلمة البتة» فهل نجد بين أقوال الله «المنزّه عن الكذب»

جوابا لسائل لحوحٍ يقف على أعتاب الهيكل الأزلي يستجدي بارقة من النور وقبسا من المعرفة؟ هذا أمر على جانب من الأهمية اذ هو كفيل بأن يغيّر مجرى حياتنا، كما يرسل خيوطا من نور العزاء واليقين إلى قلوب الحزانى والمنكوبين فتُكفكف الدموعُ وتَبعث الرجاء وتنقل الإنسان من ظلام الشك واليأس إلى بهجة الرجاء والثقة.

الله القدير قد تكلم وأوحى إلى عبيده الأنبياء بالمعرفة والفهم وأماط اللثام عن المستقبل وما يكتنفه من غموض وإبهام، وهم بدورهم دونوا لنا هذه الحقائق ((مسوقين من الروح القدس)).

فهل نستعفي من المتكلم من السماء (عبرانيين١٢:٢٥)، ونلتفت إلى الأراجيف البشرية والأوهام الخيالية، على حين أن الله أدلى في صدد هذا الموضوع ببيانات صريحة كالشمس وقاطعة كحد السيف، وليس مجردَ أوهامٍ وأضغاثَ أحلام؟

فهيا إلى الوحي، لن ندعو أحدا سيدا أو معلما، ونضرب صفحا عن الخرافات الوثنية والسفسطة الفلسفية الكاذبة، ونجلس عند قدمي المعلم السرمدي لنسمع منه كلام الحياة الأبدية، فهو القمين بأن يحسم كل خلاف ويزيل كل شك.

المرة الوحيدة التي وردت فيها عبارة ((لا يفنى)) في الكتاب المقدس هي في تموثاوس الاولى١:١٧، وهذا نصها، ((وملك الدهور الذي لا يفنى ولا يرى الإله الحكيم وحده له الكرامة والمجد إلى دهر الدهور)) وهنا قول صريح أنّ ((الإله الحكيم وحده)) هو الذي ((لا يفنى)) وهو الكائن الوحيد الذي قيل عنه في

الوحي بأنه «لا يفنى» أي سرمدي، ولم ترد هذه العبارة في الوحي مقرونة بأحد غيره تعالى.

لقد وردت كلمتا «نفس» و «روح» في الكتاب المقدس ما يزيد عن التسعمائة مرة، وفي كل هذه المرات، لم ترد مقترنة بعبارة «لا يفنى» أو «خالد» أو ما يؤدي معناهما، وعليه فقد أتيح لكتَّاب الوحي ما يزيد على التسعمائة فرصة سانحة لوصف النفس بالخلود، إلا انهم جميعا امسكوا عن ذلك.

هذا، والمبدأ أو التعليم الذي تنطوي عليه الآية التي استشهدنا بها أعلاه مقرر ومقبول من الكل، فما من أحد يشك في خلود الله، هو «ملك الدهور الذي لا يفنى ولا يرى الإله الحكيم وحده» هذه صفات الله. فالكلمة «لا يفنى» لم تُنسب لأحدٍ غيره. أما الإنسان فلم يوصف قط في الكتاب المقدس بالخلود أو عدم الفناء وكذلك نفس الإنسان فإنها لم توصف قط بعدم الفناء، وروح الإنسان أيضا لم تقرن قط بالخلود أو عدم الفناء، بل على النقيض من ذلك فإن اسفار الوحي تشدد وتؤكد عكس ذلك.

وبدلا من أن تكون اسفار الوحي مشحونة بتعليم خلود النفس كما يزعمون، رأى الله من الأفضل أن يضع أمام الناس خلوده هو، فحيثما تبدّت مظاهر الحياة، من أي نوع كان، في هذا الكون، يكون هو مصدرها، الذي «به نحيا ونتحرك ونوجد» اعمال١٧:٢٨، فإن وجوده جوهري وكلي، ولذلك كان خلوده بالمثل جوهريا وكليا، فالخلود من صفات الله، والله وحده، ومن بين سائر صفات الله، فإن صفة الوجود الجوهري تُعدّ من ابرز وأخص صفاته تعالى.

وفي الحق أنّ هذا ما يسمي به ذاتَه، «اهية» خروج٣:١٤، ومعناها «انا كائن» أي الكائن بنفسه وجوهره، الذي حياته ذاتية مصدرية وليست مستمدة أو مستعارة أو متوقفة على عامل آخر. هو «الأول والآخر» «البداية والنهاية» «الكائن والذي كان والذي يأتي، القادر على كل شيء» ليس لوجوده بداية ولا نهاية، هو الحياة الكلية، الكائن الكلي، والخلود الكلي، وليس غيرُه عزّ وجلّ.

الإنسان زائل

ويبدو، في الواقع، أن من أبرز أهداف الوحي ان يُعلن للإنسان أنّ حياتَه وجيزةٌ، زائلةٌ كالظل، حائلةٌ كعشب الحقل، متبددةٌ كالبخار، ويعلن ذلك في عبارات واضحة صريحة، وهو لا يكتفي بعدم وصفه بالخلود والأبدية وحسب، وإنما يعلن في صراحة قاطعة أنه بعكس ذلك، فقد قيل عنه بانه «مائت» و «فاسد» ١كورنثوس١٥:٥٣و٥٤ وحياته «كبخار يظهر قليلا ثم يضمحل» يعقوب٤:١٤. قابل هذا بقول الوحي عن الله تعالى، «أنا أنا هو وليس اله معي، أنا أميت واحيي ... وليس من يدي مخلص. إني ارفع إلى السماء يدي وأقول حيّ أنا إلى الأبد» تثنية٣٢:٣٩و٤٠، إنه تعالى «يهوه» «الإله الحي» «آب ابدي» «الذي هو حيّ إلى ابد الآبدين».

وهل بوسع الإنسان الضعيف المتداعي أن يقول: أنا أيضا حيّ إلى الأبد؟ إنّ خلود الله وأبديته مقرران ومحققان في كل قسم من أقسام الكتاب المقدس. أما عن خلود الإنسان فلم يورد الكتاب أدنى ما يشير إليه تصريحا أو تلميحا. والآن هل خلود الإنسان أشد وضوحا من خلود الله بحيث لم يعد داع إلى ذكره في

حين يجب التأكد والتكرار دواما على خلود الله؟ ام أنّ هذا التأكيد على خلود الله، وانعدامه فيما يتصل بخلود الإنسان يرمي بالأحرى إلى إظهار الحقيقة القاطعة التي لا تغزوها شبهة ولا يرقى إليها شك وهي أنّ البقاء لله وحده، وما الإنسان إلا بفانٍ يستمد حياتَه، لحظة بلحظة، من الله، الذي «يعطي الجميع حياة ونفسا وكل شيء» والذي «به نحيا ونتحرك ونوجد».

الخلود هبة مجانية

وهكذا بينما ورد ذكر النفس البشرية مئات المرات في الكتاب المقدس لم يذكر عنها ولو مرة واحدة أنها لا تفنى أو لا تموت، وإنما كحياة قصيرة عابرة بائدة. والأمل الوحيد في نيل الحياة الأبدية إنما وُضع أمام الإنسان الفاني، بيسوع المسيح «الذي أبطل الموت وأنار الحياة والخلود بواسطة الإنجيل» ٢تيموثاوس ١٠:١.

لم يُدر بخلد الكاتب فيما سلف من حديث ان يعلّم بأنّ الإنسان لن يستطيع الحصول على الخلود، وإنما قصد أن يقرر أنّ الخلود ليس حقا وراثيا له مملوكا بالطبيعة، أو كامنا فيه، وأنه إذا حدث فحصل الإنسان عليه فذلك إنما يكون منحة أو هبة من ذاك الذي يملكه، ويملك الحق المطلق في منحه لكل من يقبله بالإيمان.

ما من شك في أن الله يستطيع أن يمنح الخلود لأي إنسانٍ وذلك في أن يمد في اجله، ولكن تمديد اجل الإنسان لن يكون بعامل وراثي أو طبيعي مستقل عن ارادة الله. وإنما لأنّ الله يسرّ بأن يجعله يستمر في الحياة. ولو أنّ الله سحب

أو أوقف تيار الحياة والقوة في أي لحظة لانتهى اجلُ الإنسانِ واضمحل وجودُه. فاستمرار الحياة إذاً متوقف على استمرار منحها والأنعام بها، واستمرار للانعام بها قد جعله الله متوقفا على شروط وضعها هو بنفسه.

الحياة توهب على شرط

يُرى هذا المبدأ في الطبيعة أيضا كما في الإعلانات الإلهية، فمنح الخلود ومنعه أمران موكلان صرفا إلى سماحة الله. وكان بوسعه تعالى من غير شك أن يمنحَ كل خلائقه الضمان بحياة أبدية بغض النظر عن الشروط أو الظروف، سواء حافظوا على الحالة التي هم فيها ام لا، سواء صعدوا إلى السماء ام هبطوا إلى الجحيم، سواء استمروا في القداسة واستمتعوا، تبعا لذلك، بالسعادة، ام سقطوا في الخطية وبالتالي شقوا، سواء أطاعوا أم عصوا. لا يستطيع أحدُ أن يثبت أنّ الله أعطى ضمانات من هذا النوع. فإن الإعلانات الالهية، والعقل، والطبيعة جميعها تعلم بعكس ذلك، فكل شيء في الطبيعة يصيبه البوار والدمار ما لم يحتفظ بحالته الطبيعية أو يستردها، وفي صميم طبائع المخلوقات ترى أنّ البقاء والسعادة ضروريان اذا أُريد للحياة أن تستمر، فإنّ «الخطية اذا كملت تنتج موتا» يعقوب١:١٥.

مما ذكر آنفا يبدو واضحا أنّه ليس في الكون إلا كائن واحد مستقلٌ استقلالا تاما، غير مشروط، فالوجود الذاتي هو من أخص صفات الله، هو مصدر الحياة جميعا، وعليه فإنّ حياة كل مخلوق، مهما بلغ من الرفعة أو الضعة، إنما تتوقف كلية على قدرة الله ومشيئته، أو بعبارة أخرى هي حياة مشروطة.

الأشرار يهلكون

نجد في سفر المزامير العبارات التالية عن حالة الإنسان: «لأن الأشرار يهلكون واعداء الرب كبهاء المراعي، فنوا، كالدخان فنوا» «لأنه هوذا البعداء عنك يبيدون» «كما يذري الدخان تذريهم، كما يذوب الشمع قدام النار يبيد الأشرار قدام الله» «من انتهار وجهك يبيدون» «تخرج روحه فيعود إلى ترابه في ذلك اليوم نفسه تهلك أفكاره» «الإنسان في كرامة لا يبيت، يشبه البهائم التي تباد».

ونجد التعليم عينه يتخلل سفري أمثال والجامعة. وكذلك في أسفار الأنبياء نجد تعبيراتٍ كهذه «النفس التي تخطيء هي تموت» «يكون كلا شيء مخاصموك ويبيدون» واخيرا نأتي إلى كلمات ملاخي في ختام العهد القديم: «فهوذا يأتي اليوم المتقد كالتنور وكل المستكبرين وكل فاعلي الشر يكونون قشا ويحرقهم اليوم الآتي قال رب الجنود فلا يبقي لهم أصلا ولا فرعا».

وفي العهد الجديد نجد التعليم نفسه متمشيا في الأناجيل والرسائل بأنّ حياة الإنسان زائلة وفانية: «أتظنون أنّ هؤلاء الجليليين كانوا خطاة اكثر من كل الجليليين لأنهم كابدوا مثل هذ؟ كلا، أقول لكم بل إن لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون» لوقا١٣:٢و٣: «لانه هكذا احب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية» يوحنا٣:١٦، «لتكن فضتك معك للهلاك» اعمال٨:٢٠ «لان كل من أخطأ بدون الناموس فبدون الناموس يهلك» اعمال٨:٢٠ «ان لم يكن المسيح قد قام ... اذاً الذين رقدوا في المسيح أيضا هلكوا» (ويعني ان لم يكن المسيح قد قام لكان موت الجميع

نهائيا، لا قيام منه) ١كورنثوس١٥: ١٦و١٧، «نحن ... بالطبيعة أبناء الغضب» افسس٢: ٣، «الذين نهايتهم الهلاك» فيلبي٣: ١٩، «سيعاقبون بهلاك ابدي» ٢تسالونيكي١: ٩، «اما هؤلاء فكحيوانات غير ناطقة طبيعية مولودة للصيد والهلاك ... فسيهلكون» ٢بطرس٢: ١٢.

اذا لم تكن هذه التعابير القوية بكافية لاثبات تعليم الوحي بأنّ الله وحده هو الخالد، وبأنّ الإنسانَ فانٍ، فلم يبق في متون اللغة ما يمكن ان يؤدي هذا الغرض. واذا لم تستطع هذه التعابير أن تنتزع من ذهن قارئها فكرة الخلود الفطري للإنسان، فلم يعد ثمّةَ ما يستطيع أن يحقق ذلك، لأنّه من المحال أن تصاغ عبارات اشد حبكا وأقوى سبكا من هذه العبارات التي تخيّرها الله نفسه.

الفصل الثاني

الخلود

في هذا الفصل سنعرض لبحث كل آية في الكتاب المقدس ورد فيها ما يؤدي معنى الخلود لعلنا بذلك نقف على تعاليمه في هذا الشأن.

من الحقائق المقررة في أسفار الوحي أنّ الإنسان لا يملك الخلود بصفة طبيعية أو وراثية، بل على النقيض من ذلك نرى أنّ اسفار الوحي تجمع على أنّ الإنسان بالطبيعة مائت، إلا أنّه مع ذلك لا ينكر أنّه قابل لاكتساب صفة الخلود والبقاء، ويصرح الكتاب المقدس بجلاء بأنّ الإنسان في أحوال معينة يمكنه أن ينال الخلود.

أُولى هذه الآيات التي سنعرض لها وردت في١تيموثاوس٦:١٣-١٦، «أوصيك أمام الله الذي يحي الكل والمسيح يسوع ... أن تحفظ الوصية بلا دنس ولا لوم إلى ظهور ربنا يسوع المسيح الذي سيبينه في أوقاته المبارك العزيز الوحيد ملك الملوك ورب الأرباب الذي وحده له عدم الموت ساكنا في نور لا يدنى منه الذي لم يره أحد من الناس ولا يقدر ان يراه الذي له الكرامة والقدرة الأبدية، آمين ».

لو أخذنا بمنطوق هذه الآية كما يبدو طافيا على الوجه لتقرر فورا هل كان الجنس البشري يملك الخلود فطريا ام لا، لأنّ الآية تدل دلالة قاطعة على أنّ الله «وحده له عدم الموت » ليس من غموض أو شبهة أو إشكال أو أدنى ما يؤيد

زعم القائلين بغير ذلك، فالدلالة واضحة بحيث يستحيل تحويرها، ذلك أنّ الله «وحده له عدم الموت» ولو أنّ الجميع اسلسوا القيادة لهذا التعليم الواضح الصريح لما بقيت حاجة للمضي في هذا البحث، لأنّ هذه تكفي لحسم الخلاف حسما باتا.

إلا أنّ الكل لا يريدون أن يسلّموا بما يقول الوحي بمثل هذه البساطة، وعليه فإنهم يستعينون في دراستهم لتعليم الكتاب المقدس بآراء يعتقدون، سلفا، بصحتها، ولا يبتغون من وراء البحث والدراسة إلا تأييدها والتدليل عليها، وحين يقفون على آية لا تتفق مع الفكرة التي يعملون على إثباتها وتأييدها تراهم يلجأون إلى تحوير المعنى، وأحيانا إلى تحريف المبنى، لكي لا يستخلصوا منها ما تفيده من مبدأ أو تعليم.

إنّ الآية المقتبسة أعلاه لا تقرر مَن وحده له عدم الموت وحسب، وإنما تقرر أيضا من ليس له، فإنْ كان الله «وحده له عدم الموت» يستتبع ضمنا أنّه ليس لنا، لأنه إن كان لنا في ذواتنا عدم الموت فهذه الآية ليست بصحيحة، ولكن ما دام أنها صريحة وصادقة بهذا المقدار يصبح من المقرر والمقطوع فيه أنّ نظرية الخلود الوراثي باطلة.

والآن بعد أن تقرر بصورة دامغة أنّ البقاء لله وحده، يتبادر إلى أذهاننا فورا هذا السؤال: هل يستحيل إذاً على الإنسان أن يحصل على هذه الهبة الثمينة؟ هل صرح الله بشيء نستطيع على أساسه أن نؤمل في نيل الخلود في وقت ما؟ لا شك أنّ هذا السؤال على جانب من الخطورة.

موقف الإنسان من الخلود

إنّ نسبة الإنسان إلى الخلود تبدو واضحة كل الوضوح في رومية٢:٥-٧، «ولكنك من أجل قساوتك وقلبك غير التائب تذخر لنفسك غضبا في يوم الغضب واستعلان دينونة الله العادلة، الذي سيجازي كل واحد حسب أعماله، أمّا الذين بصبر في العمل الصالح يطلبون المجد والكرامة والبقاء فبالحياة الأبدية» أو بعبارة أخرى أنّ الله تعالى سيهب الحياة الأبدية لأولئك الذين يجدَّون في طلب البقاء.

في هذا النص نرى أنّ البقاء أملٌ يجدّ الإنسان في طلبه والحصول عليه، والناس عادة لا يجدّون في طلب الشيء الذي يملكونه، فكون الناس يطلبون البقاء دليل ضمني قاطع على أنهم لا يملكونه.

إلا أنّ هذا الشاهد يوحي إلينا بخاطر آخر لا يقل وضوحا وأهمية، ذلك أن الذين سيحصلون على البقاء هم فقط أولئك الذين يطلبونه بصبر في العمل الصالح، فهم إذاً طائفة من الناس تقتصر على الذين يجدَّون في العمل الصالح، «وأما الذين هم من أهل التحزّب ولا يطاوعون للحق» عدد٨، فليس لهم ان يتوقعوا نيل البقاء الذي هو وقف على الذين يطلبونه بصبر في «العمل الصالح» فهذه الآية تعلّم بغير نزاع أنّ البقاء رهن بشروط في الطالب اذ تتوافر له صفات واختبارات خاصة أجملها الرسول في قوله «العمل الصالح» وانّ أولئك الذين لا يملكون هذه الصفات والاختبارات فليس لهم وعد من هذا القبيل.

فان كنا ممن يطلبون البقاء فترى أين نجده؟ ومن أي مصدر نحصل عليه؟ وإلى من نذهب من اجله؟ الجواب عن هذه الأسئلة ورد في تيموثاوس الثانية١:١٠، «وانما أظهرت الآن بظهور مخلصنا يسوع المسيح الذي أبطل الموت وأنار الحياة والخلود بواسطة الإنجيل».

لقد اجتاز بآدم الموتُ إلى جميع الناس، إلا أنّه قد أُبطل بالمسيح، فلو لم يأت المسيح إلى هذا العالم ليموت عن الخطاة لكانوا يموتون في خطاياهم، الجميع أخطأوا، وأجرة الخطية هي موت، فالجميع إذاً تحت الحكم، تحت حكم الموت، فلولا ذبيحة المسيح الاختيارية لهلك الجنس البشري، ولكن «هكذا احب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية» فحكم الموت، الذي هو أجرة الخطية قد أُبطل بالمسيح، وعليه فإنّ هذا الحكم لا ينفذ في من يؤمن به.

هذا، والإيمان بالمسيح لا يبطل عقوبة الخطية وحسب، وإنما ينيل المؤمن نعمة الخلود التي لا تُثمّن، لقد أُعلنت هذه الحقيقة «بواسطة الإنجيل» فالخلود إذاً مبدأ إنجيلي، بوسع الإنسان أن يحصل عليه، انما «بواسطة الإنجيل» فقط، ويترتب على ذلك ان من لا يقبل الإنجيل فليس له، ولن يكون له، الخلود.

يظهر جليا من تفسير هذه الآية أننا لا نتعارض مع القائلين بإمكانية حصول الإنسان على الخلود، فهذا مبدأ لا سبيل إلى إنكاره، إلا أننا نعارض بشدة نظرية الخلود الفطري لجميع الناس، وعليه يحق لنا أن ندافع عن مبدأ الخلود اكثر من سائر الطوائف والهيئات، فهم يزعمون بأنه متوارث من آدم، أما نحن فنؤمن عن يقين وثقة بأنه هبة نُعطاها بالإيمان بيسوع المسيح.

متى يوهب الخلود

عالجنا في ما مضى ثلاث آيات من الآيات المقدسة التي نجد فيها كلماتِ الخلود وعدم الموت والبقاء وكلها بمعنى واحد، أما الآيتان الرابعة والخامسة فوردتا في الاصحاح الخامس عشر من كورنثوس الأولى من العدد الحادي والخمسين لغاية العدد الرابع والخمسين، وفي هذه الأعداد قيل لنا متى تمنح خاصية عدم موت لمن أحرزوها «بواسطة الإنجيل» وهي كما يلي: «هوذا سرّ أقوله لكم، لا نرقد كلنا، ولكننا كلنا نتغير، في لحظة في طرفة عين عند البوق الأخير، فإنه سيبوق فيقام الأموات عديمي فساد ونحن نتغير، لان هذا الفاسد لا بدّ أن يلبس عدم فساد وهذا المائت يلبس عدم موت، ومتى لبس هذا الفاسد عدم فساد ولبس هذا المائت عدم موت فحينئذ تصير الكلمة المكتوبة ابتُلع الموتُ إلى غلبة».

تفيد هذه الآيات أن الوقت الذي فيه نلبس عدم موت لن يكون عند الموت، وإنما عند القيامة، «عند البوق الأخير» وحينئذ يلبس «هذا المائت» «عدم موت» وعليه، فاذا قبلنا إنجيل المسيح الذي فيه أُنير «الحياة والخلود» لا ننال الخلود فعلا إلا عند الوقت الذي فيه «يُبوّق فيقام الأموات عديمي فساد» ويلبس «هذا الفاسد عدم فساد وهذا المائت عدم موت».

بهذا الشاهد الأخير قد استكملنا بحثنا، فعبارة «خلود» أو ما يؤدي معناها لم ترد في غير هذه المواضع من الاسفار المقدسة، لقد وردت خمس مرات، وقد درسنا كل آية من هذه الآيات على حدة. وبينما الكلمة «نفس»

وكلمة «روح» جاءتا في الكتاب المقدس مئات المرات إلا أنّ العبارة «خالد» أو ما يؤدي معناها لم ترد مرة مقترنة بإحداهما.

بل على النقيض من ذلك وجدنا الاسفار المنزلة تصرح بجلاء: أولا بأنّ الله وحده له عدم الموت، وثانيا، بأنّ على الإنسان أن يسعى في طلب البقاء، وثالثا، إذا جدَّ الإنسان في السعي فهو يحصل عليه «بواسطة الإنجيل»، ورابعا أنّ هذه الهبة السماوية لا تمنح لمستحقيها إلا عند «البوق الأخير» أو في القيامة.

هذا هو ما يعلّم به الوحي، هذا هو كلام الله، نقبله شاكرين خاضعين.

الفصل الثالث

خلق الإنسَان

أما عن إحساس الإنسان بعد الموت فاستمراره أو عدمه يتوقف كلية على نوع التأثير الذي يحدثه الموت في العوامل التي تنتج الإحساس، فإن كان الموت يقضي قضاء تاما على تلك العوامل التي يتولد عنها الإحساس يترتب على ذلك أنّ الإحساس ينعدم في حالة الموت.

والآن، ممَّ يتولد الاحساس؟ هل يتولد من أجهزة الجسم المادية التي تنحل عند الموت، أم ناتج هو عن عوامل خارجة عن الإنسان لا يمتد إليها تأثير الموت؟

الروح ترجع إلى الله

ولعل الآية التي يدأب أنصار خلود النفس في الاستشهاد بها اكثر من سواها هي الواردة في سفر الجامعة١٢:٧، وهذا نصها، «فيرجع التراب إلى الأرض كما كان وترجع الروح إلى الله الذي أعطاها» ويدَّعي البعض أن هذه الروح التي ترجع إلى الله هي واعية حسَّاسة، وعلى ذلك فهم يبرهنون على وعي الإنسان في حالة الموت بهذه الآية، إلا أنّ هذا لا يعدو كونه مجرّد ادّعاء.

فهذه الآية لا تقتصر على التدليل بأنّ أرواح الأبرار الأموات تذهب وحدها إلى السماء كما يستدل بها عادة، إذ هي تبرهن بالمثل أنّ أرواح الجميع، من غير تمييز، تذهب إلى السماء وبهذا تصبح أساسا لمبدأ (الخلاص العام)، هذا، والاصحاح الذي أمدنا بهذه الآية لا يتكلم عن الأبرار، وإنما عن الجنس البشري بأسره، دون أقل إشارة إلى علاقتهم الشخصية بالله.

فيستهل الاصحاح بتلك الإهابة المألوفة «اذكر خالقك في أيام شبابك» ثم يسترسل فيبين الأسباب التي تستوجب ذلك بعرضه صورة قلمية للضعفات التي تصيب الطاعنين في السن وتنتهي بهم إلى الانحلال النهائي عند الموت، وعليه فإنّ الجامعة يهيب بالإنسان أن يذكر خالقه في أيام شبابه «قبل أن تأتي أيام الشر أو تجيء السنون إذ تقول ليس لي سرور» قبل أن تأتي يوم «يتزعزع فيه حفظة البيت» – حيث ينشلّ ساعداه ويداه بفعل السنين – «وتتلوى رجال القوة» – حين ترتخي المفاصل وتتفكك الأوصال بثقل السنين – «وتبطل الطواحن لأنها قلت» – أي تمسي الأسنان نخرة بالية – «وتظلم النواظر من الشبابيك» – أي يكلّ البصر – «وتحطّ كلُّ بناتِ الغناء» – ترتخي الأوتار الصوتية – «وأيضا يخافون من العالي وفي الطريق أهوال واللوز يزهر» – ينتشر الشيب في بياض ناصع كأزهار اللوز – «والجندب يُستثقل» – يصبح لكل صغيرة شأن خطير – «والشهوة تبطل، لأنّ الإنسان ذاهب إلى بيته الأبدي، والنادبون يطوفون في السوق» وبهذا الصدد، حين يتطرق الانحلال والفساد إلى الجسم، قيل «فيرجع التراب إلى الأرض كما كان وترجع الروح إلى الله الذي أعطاها» وهو ما ينطبق على جميع الناس، وليس الصالحين فحسب، فأرواح الجميع، على السواء، ترجع إلى الله عند الموت.

كيف خلق الله الإنسان

إنّ هذه الآية التي دار حولها الحديث السابق ترجع بنا إلى يوم خلق الإنسان، ومن منطق الآية يبدو واضحا أنّ الإنسان يعود عند الموت إلى الحالة التي كان عليها قبل أن خُلق، وعند الموت يرجع التراب إلى الأرض «كما كان» وترجع الروح إلى الله «الذي أعطاها».

وبرجوعنا وقت الخليقة نجد ذلك الإعلان الواضح البسيط الموجز عن خلق الإنسان، كما جاء في تكوين٢:٧، «وجبل الرب الإله آدم ترابا من الأرض ونفخ في انفه نسمة حياة، فصار آدم نفسا حية» هذه هي الطريقة التي سار عليها الله في خلق الإنسان.

أولا: خلق الله الإنسان، والمادة التي استعملها «تراب الأرض» ثم نفخ في ذلك الجسد المسجى «نسمة حياة» فنتج عن ذلك أن «صار الإنسان نفسا حية» فليس الأمر من التعقيد والغموض في شيء، كما يحسب البعض.

تحليل الآية

إن تحليل الآية المتضمنة خليقة الإنسان التي نحن بصددها الآن قمين بأن يجلو لنا العديد من الأمور المهمة «جبل الرب الإله آدم ترابا من الأرض ونفخ في انفه نسمة حياة، فصار آدم نفسا حية».

وعليه فإن المواد الأولية التي اختارها ليصنع منها الإنسان ليست بأي شكل أسمى من المواد التي صنع سائر الخلائق الأرضية، فهي أيضا خلقت «من تراب الأرض».

وبعد أن أستكمل جبلَه وتصويرَه لم يكن مفتقرا إلى شيء ليصير «نفسا حية» سوى «نسمة حياة» وحين نفخ الخالق فيه نسمة الحياة هذه صار على الفور «نفسا حية» ويصرح الكتاب المقدس بأن هذه النسمة قد منحت للحيوان كما منحت للإنسان سواء بسواء، ولذلك قيل عن الحيوانات بأنها «انفس حية» تكوين١: ٣٠؛ رؤيا١٦: ٣؛ تكوين٧: ٢٢.

وجدير بالملاحظة أيضا أنّه ليس في الآية، قيد البحث، إشارة إلى كون الله حشا ذلك الجسد المسجى بنفس حية، ولا قيل إنّ الله خلق نفسا حية بداخل الجسم كشيء منفصل عنه. كل ما قيل، إنّ الإنسان، نتيجة لنفخ نسمة الحياة في انفه، صار، بمجموعه، نفساً حيّة، فالمعنى إذاً الذي درج الناس على فهمه من كلمة «نفس» كجوهر روحي يمكنه أن يعيش بمعزل عن الجسد، شيء لا يستند إلى تصريحات الوحي.

معاينة الخلق

والآن لنرجع على أجنحة الخيال إلى الجنة ونكمن في احدى أطرافها، ونشهد عن كثب عملية خلق الإنسان الأول، ينطق الله، وإذا بالإنسان يتصور «من تراب الأرض» وها هو ساجٍ أمامَنا، وكاملٌ في كل أعضائه وأجهزته إلا أنّه خالٍ من الحياة، دماغُه متأهب للتفكير إلا أنّه لا يفكر، قلبُه متأهب للنبض

إلا أنّه لا ينبض، ودمُه متأهب للجريان إلا أنّه لا يجري، ليس ثمّــةَ عقــل، ولا فكر، ولا معرفة، ولا حكمة، ولا ذاكرة ولا شعور، وكل ذلك لأنّه لم يحيَ بعــد، وبعد مدّةٍ وجيزةٍ يتغّير هذا الجسد الساكن إلى «نفسٍ حيّةٍ» تتحرك.

لا يستطيع أحد أن يذهب إلى الظن أنّه كان ثمة شعور أو وعي فــي ذلــك الجسد وهو بعد خالٍ من الحياة ومُسجى، إذ ما من أحدٍ يعتقدُ أنّ الشعور ينشــأ من «تراب الأرض».

والآن ينفخ الخالق في ذلك الجسد المجبول «نسمةً حيّةً» وفي الحال يصــير الإنسانُ نفساً حيّةً، وفورا يبدأ الذهنُ بالعمل، ويأخذُ القلبُ في النبض، ويتدفــقُ الدمُ في الشرايين ويحسُّ بالقدرة على الشعورِ والفهمِ والاستيعابِ، وكــل هــذا لأنّه الآن حيّ.

لقد أُنشيء الشعور ولكن كيف نشأ؟ لقد جزمنا سابقا أنّ الشعور لا يكمــن في «تراب الأرض» فهل كان حاضرا في «نسمة الحياة» كلا، وإلا لكــان لــه سابقُ وجودٍ قبل أن استقرت نسمة الحياة في الجسم، وهذا يعلم بسابق وجــود النفس كما يعلم بخلودها أيضا، فمن غير شكٍ ليس ثمّةَ من يقول أنّ الوعــي أو الشعور يكمن في النسمة التي نتنسمها.

الموت يُفضي إلى عدم الشعور والوجدان

فإن لم يكن الوعي بكامنٍ في الجسم ولا في نسمة الحياة، كلّ علــى حــدة، فمن أين جاء الوعي؟ فيبدو واضحا للجميع أنّ الوعي والإدراك إنمــا ينشــأان (ينشآن) من اتحاد «نسمة الحياة» والجسد المجبول من «تراب الأرض» وإنّــه

لم يكن ثمّةَ وعيُ ولا إدراكُ في الجسد أو في «نسمة حياة» قبل أن يتحدا معا.

وعليه يجب أن نقرر قرارا فاصلا بأنّ الوعي إنما يتوقف كلية على اتحاد النسمة بالجسم، وحين ينفصل الواحد عن الآخر يبطل الشعور وينعدم الوعي.

والآن لنغيّر النهج. حين يدنو الإنسان من المرحلة الموصوفة في الفصل الأخير من سفر الجامعة، وتُنتزع منه «نسمة حياة» وتتحول عناصر جسمه إلى تراب، عندها يلفظ آخرَ النسمات، ويكفُّ قلبه عن الخفقان، ويتوقف دمه عن الجريان، وينقطع ذهنه عن العمل والعرفان، وماذا أصاب ضميره ووجدانه؟ قد مضيا، وبالإجمال فإنّ كل عوامل الشعور والإدراك تبطل في الحال، ويأخذ الجسم في الانهيار والانحلال، وعندئذ يرجع التراب إلى الأرض، كما كان، وترجع الروح إلى الله الذي أعطاها.

ما دام الوعي والإدراك يتوقفان على اتحاد النسمة بالجسد يستتبع أنّه حين تنفصل النسمة عن الجسد فإنّ الوعي ينعدم.

أما «الروح» التي ترجع إلى الله، فإن هي إلا تلك النسمة التي «أعطاها» وأما العناصر التي يتألف منها الإنسان فقد انحلّت وعاد التراب إلى اصله، وعادت النسمة أيضا إلى ذاك الذي «أعطاها» فواضح أنّ الآية التي توفرنا على تحليلها لا تعلِّم مطلقا بأنّ ثمّةَ وعيا وإدراكا في حالة الموت.

شهادة الوحي

وهذه ليست نظريات شخصية إنما هي تصريح الوحي «ترسل روحك فتخلق» مزمور١٠٤: ٣٠، «تنزع أرواحها فتموت» عدد٢٩، وأيضا «تخرج روحه فيعود إلى ترابه، في ذلك اليوم نفسه تهلك أفكاره» مزمور١٤٦: ٤، وأيضا «لأن ما يحدث لبني البشر يحدث للبهيمة وحادثة واحدة لهم، موت هذا كموت ذاك ونسمة واحدة للكل فليس للإنسان مزية على البهيمة لأن كليهما باطل» جامعة٣: ١٩، اما عن كون الروح والنسمة مترادفين فيظهر من ايوب٣٣: ٤، «روح الله صنعني ونسمة القدير أحيتني».

فكم هو واضح اذاً أنّ معتمدنا في نيل الحياة إنما هو الله وحده، إذ ليس لنا حياة في ذواتنا، ولا نستطيع أن نحيا ونوجد ما لم يمدنا الله بالحياة، وعليه يجب أن نعتمد على الله ليس فقط في نيل الحياة الأبدية وإنما في كل آن «لاننا به نحيا ونتحرك ونوجد» فإن التعليم بالخلود الفطري إنما يفضي بالبشر إلى الابتعاد عن الله مصدر الحياة، والاعتماد على أنفسهم بينما نرى أنّ تعليم كتاب الله إنما يهدف إلى جعل الناس يضعون كل ثقتهم في الله «الذي بيده نفس كل حي وروح كل البشر» ايوب١٢: ١٠، والذي «يعطي الجميع حياة ونفسا وكل شيء» اعمال١٧: ٢٥.

الفصل الرابع

الموت

ليس الموت تعديلا يطرأ على الحياة. وليس هو استمرار الحياة في حالة أخرى. وليس هو تحريراً من قيد الجسد إلى حياةٍ أوفر. ليس الموت بالحياة الشقية أو بالحياة الهانئة. ليس الموت حياة على الإطلاق. الموت هو نهاية الحياة – الانقطاع التام عن الحياة وأسبابها.

الموت لا يعني بحال الذهاب إلى النعيم، أو إلى الجحيم. لا يعني الذهاب إلى (المطهر) أو إلى أي مكان آخر. وإنما يعني الموتُ – انقطاعَ الحياة.

وحين يموت إنسان لا يعيش في مكان ما، في السماء، أو في الجحيم أو في المطهر. لا يعيش على الإطلاق – لا روجاً ولا نفساً.

ولا يعني هذا أنّ الإنسان البار لن يحيا أبدا. لسوف يعود إلى الحياة في المستقبل. إلا أنّ هذه الحياة المقبلة لن تكون استمرارا لهذه الحياة الحاضرة، وإنما حياة جديدة، حياة أخرى. ولن تبدأ هذه الحياة عند الموت وإنما عند قيامة الأموات.

منبع التعليم بالخلود الفطري

في الفصول السابقة رأينا أنّ الله وحده لا يفنى، وأنّ الإنسان زائل حتما. إلا أنّه بالرغم من آيات الله البينات التي حشدناها دعما لهذه الحقيقة، يوجد بين الناس من يحمّلها محملا رمزيا غامضا، فيقبلون معناها إلى ضدّه تماما. بحيث يصبح الموت لفظة تعني الحياة، التي هي نقيضته.

من المدهش حقا أنّه بينما مبدأ الخلود الفطري بإيعاز من الشيطان، ذاك الذي كان كذابا «من البدء» حين قال لأبوينا الأولين «لن تموتا» وألقى بهذا القول في وجه التصريحات الإلهية القاطعة التي تفيد الضدّ، نرى قادة الكنيسة والمطبوعات والفلسفة العالمية السائدة تحتضن جميعا تلك الفكرة المدخولة التي دسها عدّو الخير.

وعليه نرى علماء الدين وهم منساقون في تيار الغواية التليدة، يؤكدون لنا أنّ النفس البشرية خالدة، لا يمكن أن تموت، أي أنها ليست قابلة للفناء ومن ثم لا تفنى. وأنّ مصيرها، حتما، إلى الخلود. وبناء على ذلك فإنهم يصرحون بشدة بأنّ النفس البشرية ليست خالدة بالفطرة، لا يمكن أن تُفهم بهذا المعنى.

وبحكم هذا التفسير الغامض المعقّد والصور اللفظية والمرادفات المتكررة حرّفوا معنى الإعلانات الإلهية، واصبح مبدأ الخلود الفطري للنفس في عداد المباديء المقبولة من مختلف الطوائف والأديان. إلا أنّنا نجاهر، في احتجاج، بأنه حين يكون المبدأ مخالفا لأقوال الله مخالفة صريحة، وحين يمتهنُ شريعةَ الله، ويجعل حكمتَه وجودَه وعدالتَه وصدقَه موضعَ شكّ، وحين يصغّر ويقلل

من شأن عمل المسيح، ويعوّق تقدم إنجيله يمكن أن نتحقق من أنّ «أبا الكذاب» هو المسؤول الأول عن هذا المبدأ الجائر.

كلا، لقد حان الحين الذي فيه يجب أن نواجه قول الضلالة المأكرة «لن تموتا» بأقوال الله الفاصلة الصريحة، ونفرزها من المباديء الإلهية. ولقد آن الاوان أيضا للمسيحيين كي يكفّوا عن الاستهانة بتعاليم الله، وينقادوا للاعتراف بأنّ الله «وحده له عدم الموت» هو الحي القيوم الذي يهب الحياة والخلود للإنسانية الهالكة.

أين الأموات؟

وإذ نوطّد أقدامنا على صخرة كلمة الله الراسية، ونولي ظهورَنا للاختراعاتِ والظنونِ البشرية، فلنلتمس الحقَّ المبين عن حالة الإنسان في الموت من الله الواحد العلام الذي لا يغرب عن إدراكه شيء.

«اما الرجل فيموت ويبلى. الإنسان يسلم الروح فأين هو» ايوب١٤: ١٠ هذا سؤال ينبعث من أعماق الدهور، وفي كتاب الله نجد الجواب المشبع الشافي.

رأينا آنفا أنّ الوعي والشعور يتوقفان على اتحاد النسمة بالجسد، وعليه، فحين ينفصلان في حالة الموت، فإنّ الشعور والوعي ينعدمان. ولدينا شهادات قاطعة من كتاب الله لاثبات هذه الحقيقة كقول المرنم في مزمور١٤٦: ٣، ٤ «لا تتكلوا على الرؤساء ولا على ابن آدم حيث لا خلاص عنده. تخرج روحه فيعود

إلى ترابه. في ذلك اليوم نفسه تهلك أفكاره » فليس في الموت إدراك ولا شعور. لأنّه لم تعد ثمّةَ قدرة على التفكير.

وبالرغم من الاعتقاد السائد أننا عندما نموت سنمضي أوقاتنا في التسبيح بحمد الله يصرح الكتاب المقدس: « لأنه ليس في الأموات ذكرك. في الهاوية من يحمدك » مزمور٦:٥. وأيضا « ليس الأموات يسبحون الله ولا من ينحدر إلى أرض السكوت » مزمور١١٥:١٧.

الأموات لا يعلمون شيئا

اما عن كون الموت انقطاعا تاما عن الشعور والإدراك فواضح كل الوضوح من شهادة الحكيم في الجامعة٩:٥و٦ « لان الأحياء يعلمون أنهم سيموتون. أما الموتى فلا يعلمون شيئا، وليس لهم أجر بعد، لأن ذكرهم نسي. ومحبتهم وبغضتهم وحسدهم هلكت منذ زمان ولا نصيب لهم بعد إلى الأبد في كل ما عمل تحت الشمس ».

والآن لنضع هذا النص تحت مجهر الفحص والاستقراء. لاحظ القول المقتضب الصريح. « الأحياء يعلمون » أقله « أنهم سيموتون » « أما الموتى فلا يعلمون شيئا » على الإطلاق. إذ الموت نقيض الحياة في خط مستقيم. أيضا « لأن ذكرهم نسى » فإذ هم في حالة الموت لا يستعيدون مشاهد الحياة كما يدعي مناجو الأرواح مثلا.

« ومحبتهم ... هلكت » بينما تكون الأمّ على قيد الحياة قد يتركز كل حبها في وحيدها الطفل، إلا أنّها حين تموت، يقضي الموت على هذه العاطفة النبيلة،

فلا تحلّق وتحوم حول من أودعته حبها وحنانها _ كما يتخيل البعض. وكذلك البغضاء والحسد يبيدان.

كما أنّ الأموات لا يساهمون في أي ضرب من ضروب الأعمال أو الشائعات التي تقع على مسرح هذه الأرض. «ولا نصيب لهم بعد إلى الأبد في كل ما عمل تحت الشمس» فهم لا يشعرون بأي شيء مما يدور في الأرض.

كم يصبح مستحيلا أن ينخدع أحد من شعب الله بما تلوح به الروحانية من ادعاءات كاذبة لو آمن بالتصريحات الإلهية الواضحة! وكم يصبح من المحال أن ينخدع بما يسمونه أرواح الموتى، لو قبل بثقة هذا الحق الصراح المتضمن في آية البحث.

الموت نوم ورقاد

لقد أُطلق على الموت، في الاسفار المقدسة، اسمُ يفيد عدم الوعي، وهو النوم. هكذا يقول المرنم في مزمور١٣:٣ «انظر واستجب لي يا رب الهي. أنر عيني لئلا أنام نوم الموت» فالموت إن هو إلا فترة من النوم، الذي منه سينتبه الجميع في يوم القيامة.

والسيد المسيح يتفق مع داود في أنّ الموت هو نوم. نقرأ في يوحنا١١:١١-١٤ «قال هذا، وبعد ذلك قال لهم لعازر حبيبنا قد نام. لكني اذهب لأوقظه. فقال تلاميذه يا سيد إن كان قد نام فهو يشفى. وكان يسوع يقول عن موته. وهم ظنوا أنه يقول عن رقاد النوم. فقال لهم يسوع حينئذ علانية لعازر مات».

والرسول بولس يتفق مع الاثنين، الملك داود والسيد المسيح، بأنّ الموت هو نوم. يقول في كورنثوس الاولى١٥:٦ ((وبعد ذلك ظهر دفعة واحدة لأكثرَ من خمسمئة أخٍ أكثرهم باق إلى الآن، ولكن بعضهم قد رقدوا)) وأيضا في تسالونيكي الاولي٤:١٣ يقول ((ثم لا أريد أن تجهلوا أيها الاخوة من جهة الراقدين لكي لا تحزنوا كالباقين الذين لا رجاء لهم)).

وينضم النبي دانيال إلى داود والسيد المسيح والرسول بولس في اعتبار الموت نوماً ورقاداً. في الاصحاح١٢:٢ من سفره يقول في الأموات: ((وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون، هؤلاء إلى الحياة الأبدية وهؤلاء إلى العار للازدراء الأبدي)) ففي حالة الموت إذاً ينام الإنسان، وفي يوم القيامة يكون الإنسان في سبات عميق – لا يتخلله إحساس ولا شعور.

والبشير لوقا يتفق مع سائر الكتَّاب الملهمين في تدوينه لقصة موت استفانوس، إذ يقول في اعمال٧:٦٠ ((ثم جثا على ركبتيه وصرخ بصوت عظيم: يا رب لا تُقيم لهم هذه الخطية. وإذ قال هذا رقد)).

وداود، ذلك الرجل، الذي كان حسب قلب الله، بدلا من أن يكون اليوم في السماء كما يعلِّم المنادون بخلود النفس، هو ثاوٍ في قبره. وهذا واضح في قول الرسول بولس في العظة التي ألقاها في (إنطاكيةَ بيسيديا) كما هي مدونة، على يد لوقا، في اعمال١٣:٣٦ ((لأن داود بعد ما خدم جيله بمشورة الله رقد وانضم إلى آبائِه ورأى فسادا)).

يصرح بطرس جهارا بأن داود لم يصعد إلى السماء. ويقول في موعظته التي ألقاها في يوم الخمسين، اعمال٢:٣٤ «لأني داود لم يصعد إلى السموات، وهو نفسه يقول: قال الرب لربي أجلس عن يميني» وفي العدد التاسع والعشرين من هذا الاصحاح يخبرنا بوضوح عن مكان داود: «ايها الرجال الاخوة يسوغ أن يقال لكم جهارا عن رئيس الآباء داود، أنه مات ودفن وقبره عندنا حتى هذا اليوم».

ويتضح من هذا أن الأموات لن ينتبهوا من نومهم حتى يوم القيامة، حين تنفلق السماء كدرج ملتف (رؤيا٦:١٤).

يوم القيامة

يبدو واضحا من هذه الآيات أنّ الأموات لن ينتبهوا من نومهم حتى يوم القيامة، حين «تنفلق السماء كدرج ملتف» رؤيا٦:١٤، «هوذا سر أقوله لكم. لا نرقد كلنا، ولكننا كلنا نتغير. في لحظة، في طرفة عين عند البوق الأخير. فإنّه سيبوق، فيقام الأموات عديمي فساد ونحن نتغير. لأنّ هذا الفاسد لأبد أن يلبس عدم فساد، وهذا المائت يلبس عدم موت. ومتى لبس هذا الفاسد عدم فساد ولبس هذا المائت عدم موت، فحينئذ تصير الكلمة المكتوبة، ابتُلع الموت إلى غلبة» ١ كورنثوس١٥:٥١-٥٤.

وقد أُشيرَ أيضا إلى هذا الحادث المبارك في تسالونيكي الاولى٤:١٣-١٧ ولاحظ بأي وضوح تستعرض هذه الآيات حادث القيامة. «ثم لا أريد أن تجهلوا أيها الاخوة من جهة الراقدين لكي لا تحزنوا كالباقين الذين لا رجاء لهم.» ثم

يستطرد الرسول فيبين أنهم ليسوا في السماء، وإنما في قبورهم في انتظار القيامة. «فإننا نقول لكم هذا بكلمة الرب أننا نحن الأحياء الباقين إلى مجيء الرب لا نسبق الراقدين. لأنّ الرب نفسه بهتاف بصوت رئيس ملائكة وبوق الله سوف ينزل من السماء والأموات في المسيح سيقومون أولا. ثم نحن الأحياء الباقين سنُخطف جميعا معهم في السحب لملاقاة الرب في الهواء. وهكذا نكون كل حين مع الرب».

القيامة هي رجاء المؤمنين

فإلى يوم القيامة كان يشخص الرسول بولس بعين الرجاء في انتظار جزائه وليس إلى الموت. فهو يعلن في تيموثاوس الثانية ٤:٨ «وأخيرا وضع لي اكليل البر، الذي يهبه لي في ذلك اليوم الرب الديان العادل، وليس لي فقط بل لجميع الذين يحبون ظهوره أيضا».

الموت عدوّ لدود للجنس البشري، وليس بصديق. «آخر عدو يبطل هو الموت» إلا أنّ فلسفة الشيطان الماكرة التي وضع أساسها في قوله «لن تموتا» قد أسدلت غشاوة على عيون الكثيرين وجازت عليهم الأكذوبة – كما جازت على أبوينا الأولَين، فجعلوا آمالهم تتركز في الموت، كالحادث الذي يحقق لهم هذه الآمال، ويفتح أمامهم أبوابَ المجدِ والخلودِ. ضلالة ماكرة خبيثة لا يتفتق عنها إلا ذهنُ عدو الخير. فما أحرانا إذاً، وقد وقفنا على هذا الحق المبين، أن نعقد آمالنَا وأمانينا برجاء المؤمنين الاعظم، قيامة الأموات، إذ في ذلك الحين نستردّ أفراحَ الخلودِ وندخل، إلى ديار المجد، ونحيا إلى الأبد في كنف الله الذي «دعانا إلى ملكوته ومجده».

الفصل الخامس

أجرة الخطية

إنّ التعليم بالخلود الفطري للنفس، الذي رأينا سابقا أنه لا ينهض على أساس كلمة الله، قد حدا الكثيرين على التورط في ضلالات أخرى ذات أضرار بليغة.

فاذ يسلمون بأول أكذوبة ألقى بها الشيطان ويقترضون بأن الإنسانَ خالدُ بالفطرة، فإنه يترتب على هذا الفرض المزعوم أنّ نفوس الموتى تظل بعد الموت واعية مدركة، سواء في النعيم أم في الجحيم. وأفضى بهم هذا الفرض إلى الأخذ بإمكانية رسم خطة لتبادل الاتصال بين الأحياء والأموات. ومن هنا نواجه ظواهر الروحانية، وهي ما تدّعي القدرة على مناجاة أرواح الموتى، وهي شر ضلالة تفتّق عنها ذهن أبي الأكاذيب في هذه الأيام الأخيرة العصيبة. فالروحانية إن هي إلا واحدة من ثمار هذا التعليم الفاسد الذي يقول بخلود النفس الفطري.

كما أنّ اعتقاد البعض في (المطهر) إنما يقوم على الأساس نفسه – وهو استمرار شعور الإنسان بعد الموت. فلو أنّ أكذوبة الشيطان لم تجد من يصدقها، ويتخذها بديلا عن إعلانات الله الصريحة، لما وُجِد من يعتقد بتعليم (المطهر) وينخدع إلى حد أنفاق المال في سبيل تخليص أحبّائه من عذابات المطهر.

يغـّذي موجة الإلحاد

كما أنّ هذا التعليم قد عرقل تقدّم الإنجيل بتغذية الإلحاد والتشكك، فإنّ تعليما ينادي بالعذاب والشقاء المؤبّدين خليق بأن يصد الناس عن قبول الإنجيل، بـدلا من أن يجذبهم إليه.

إذ يترتب على التعليم بالخلود الفطري، أنه ما دام أنّ الخطية ضربت أوتادها في هذه الأرض، فما من سبيل إلى إقصائها أو اسـتئصال شـأفتِها. وإنّ مـن يرفض إنجيل المسيح سيسترسل حتما في الخطية والعذاب والشقاء إلـى ابـد الآبدين، أي أنّ الله نفسه لا يستطيع أن يطهّر الكون من الخطاة مـا دام أنـهم بالفطرة مخلدون.

وهكذا نشأت تلك الضلالة الموبوءة بأنّ نار الدينونة التي قصد بها أن تطهر الأرض من الخطية والخطاة إلى الابد، ستستعمل، بالعكس، على تخليد الخطيـة والخطاة. فإذ تأخذ هذه النار في التهامهم وترى أنهم غير قابلين للفناء، تظـل تضطرم وتتأجج إلى الأبد لا لكي تلتهم وتهلك، وإنما لتعذيـب تلـك الضحايـا التعيسة عذابا لا يلين ولا يهين. فعلى قدر ما يعيش الأبرار في السماء سيتعذب الأشرار في الجحيم، وهكذا على مدى الادهار تقف القداسة والخطية، والسـعادة والشقاء، والتسبيح والتجديف، والحياة والموت جميعا في صفين متقابلين.

اعتقاد مريع

وبناء على هذه النظرية ذهب الكثيرون إلى الاعتقـــاد أنّ الســماء ســتعج بأناشيد المفديين، بينما سيضج الجحيم بالشتائم واللعنات، والأنّات والآهات التي تنبعث من أفواه الأشرار على مدى الأجيال. وإنّه لن يحيـــن الوقــت الذيفيــه تستطيع محبة الله وحكمته وقدرته أن تسجل نصراً كاملا على أعمال الشـــرير فتستأصل شأفته إلى الأبد، ولا على الموت والهاوية فتبيدهما من الوجود.

ولكن حين يُنعِمُ العقلاء والمفكرون النظر في كل ما تطويه فكـــرة العــذاب الذي لا ينقضي، أن يتقلبوا على السنة من اللهيب إلى أبد الدهــور دون أدنـــى أمل في النجدة، وتترامى من حولهم جموع الملايين التي لا تحصى ممن قُــذِف بها إلى الجحيم وتلحق بها جموع غفيرة يوما بعد يوم، ويتبادر إلى أذهانهم أنّ هؤلاء ليسوا مجردَ جموعٍ غفيرةٍ من الاشرار، ممن لا تربطهم بهم صلة، وإنما هم أبناؤهم افلاذ أكبادهم وأصدقاؤهم الذين فارقوا الحياة دون أن يبدو عليهم ما يدل على قبولهم للإنجيل، فسينذهلون لهذه النتيجة المريعة التي تفرضها عليهم عقيدتهم بحيث لا يستطيع ايمانهم أن يحتمل هذا الكابوس المخيــف فيندفعــون إلى الإلحاد.

الفصل السادس

عقاب الأشرار

ليس الدين عند الاكثرين سوى محاولة للهروب من النار. وما اعتنقــوه إلا خوفاً من أهوال الجحيم التي يكابد فيها الأشرار عذابــا أبديــا إذا لــم يتديّنــوا وينضموا إلى الكنيسة .. ومن هنا كان المبشرون يتفننون في رســم الصــور القلمية أو الشفوية الكفيلة بأن تلقي الرعب والهلع في قلوب الخطاة في وصـف ذلك العــذاب الرهــيب الذي لا ينقضي فضــلا عمــا يكابدونــه مــن مكــايد الشياطين ومضايقاتها الممضة.

والحقيقة أنّه لا أصل لهذه الأفكار والخيالات سوى فــي منــاهج اللاهــوت البائدة. إذ أنّ الله لم يخلق في الكون مكانا كهذا.

وليكن معلوما، قبل المضي في البحث، أننا لا نعني من هذا التصريح أنه لن يكون عقاب للخطية، أو أنّ جميع الناس سيخلصون. لا نعني شيئا مــن هــذا القبيل، ولا الوحي يعلّم بشيء منهما. كل ما نعنيه هو أنّ تلك الأوصاف التــي طالما أوردها المبشرون في تصوير مكان العذاب إنما هي من نسج الخيال الذي ألهبته العقائد المضلة، وليست على شيء من الحــق اذا قوبلــت بتعــاليم الله المعلنة في كتابه.

العقاب لا يزال مستقبلا

ليس للعذاب مكان الآن، ولن يكون حتى نهاية العالم. والنـــاس لا يذهبـــون حين موتهم إلى الجحيم، كما رأينا سابقا. وغنما يرقدون في قبورهم في سُـبات عميق لا يتخلله شعور ولا وعي.

ولو صدق التعليم القائل بأنّ الشرير عند موته يذهب إلى مكان العذاب لمـــا كانت حاجة إلى قيامة الأموات لينال الناس جزاءهم الوفاق، إن ثوبا أو عقابـــا. إذ لا معنى من قيامهم من الموت لينالوا عقابا قد نالوه في المـــوت ولا زالـــوا يكابدونه.

هذا ولو صحّ أيضا هذا التعليم لما بقيت حاجة إلى الدينونة التـــي ســـيتقرّر بناء عليها مصير الأبرار والأشرار في القيامة الأولى عند مجيء المسيح. فـإن كان الناس يكابدون عقابهم على أثر الموت فما معنى أن يدانـــوا اذاً؟ ام هـــل يؤتى بهم من الجحيم لإعادة النظر في قضيتهم خشية أن يكون قد وقع خطأ في الحكم الجاري؟

يتضح من هذا أن التعليم بالقيامة والدينونة العتيدة اللتين تحفل بهما اســفار الوحي يجب إلغاؤه اذا اخذنا بهذا التعليم المعارض بأنّ الأموات ينالون عقابـــهم أو ثوابهم عند الموت. لأننا لا نستطيع أن نؤمن بالاثنين في آنٍ واحد.

لمدة عشرين قرناً وقصة الرب يسوع وحبه وآلامه من أجل الإنسان تـــتردد على ألسنة المبشرين مشفوعة بالدموع الحرّى. والملايين سمعت هذه القصـــة وبكت. وكم لانت لها القلوب المتحجرة القاسية. فهل يمكن أن يصح أنّ الإلـــه

الذي بلغ من حبه العظيم أن أرسل ابنه الوحيد إلى العالم لكي «يطلب ويخلص ما قد هلك» أنّه طوال هذه القرون عينها كان يقذف بالملايين التي لا تحصى إلى أشد ألوان العذاب والتنكيل التي يتفتّق عنها عقله غير المحدود وتباشر تنفيذها قدرته الإلهية؟!

كلا، إنّ الوحي لا يعلّم بأنّ ثمّة مكانا للعذاب يصطلي فيه الأشرار الآن. وإنما يعلم بالدينونة العتيدة التي فيها ينال الجميع ثوابهم أو عقابهم في العالم الآخر. إلا أنّ هذا الاجراء لا يتم في أثناء الموت، وإنما بعد أن يقاموا من الموت. ويكون أبدياً بمعنى الكتاب المقدس وليس بالمعنى الدارج للكلمة وإنما يستمر إلى أن ينال الأشرار استحقاق ما جنت أيديهم في هذه الحياة.

لا يسعنا أن نحتكم إلى غير الوحي للتدليل على هذه الحقيقة. هو المرجع الوحيد، وهو الكفيل بأن يجيب عن نفسه.

لقد رأى سليمان الحكيم بكل جلاء الحاجة إلى دينونة عتيدة حين قال: «رأيت تحت الشمس موضع الحق هناك الظلم، وموضع العدل هناك الجور» فغن كان من المتعذر إقامة العدل في هذا العالم ما دام القيِّمون عليه يحرّفون القضاء، وجب أن تستأنف القضايا إلى محكمة عليا للفصل فيها فصلا نهائيا. ثم يسترسل سليمان الحكيم فيقول، «فقلت في قلبي الله يدين الصديق والشرير. لأن لكل امر ولكل عمل وقتا هناك» الجامعة٣:١٧ فالوحي، إذاً يصرح، في غير لبس، بدينونة عتيدة.

الدينونة ليست في حالة الموت

وهذه الدينونة لا تكون عند الموت. ويتضح هذا من حقيقة كون الله يعد البشر مسؤولين ليس فقط عن ارتكابهم لاعمالهم، وإنما للنتائج المتأتية عنها. وعلى هذا يصرح إرميا بأن الله «عظيم في المشورة وقادر في العمل. عيناك مفتوحتان على كل طرق بني آدم لتعطي كل واحد حسب طرقه وحسب ثمر اعماله» إرميا٣٢:١٩ وأيضا «أنا الرب فاحص القلب مختبر الكلى، لاعطي كل واحد حسب طرقه حسب ثمر أعماله» إرميا١٧:١٠.

لقد «وضع للناس أن يموتوا مرة، ثم بعد ذلك الدينونة» عبرانيين٩:٢٧ هذا وكون الاشرار لا يعاقبون الآن في الجحيم، وإنما هم محفوظون في قبورهم إلى يوم الدين لما علم به الرسول بطرس:

«لأنه إن كان الله لم يشفق على ملائكة قد اخطأوا بل في سلاسل الظلام طرحهم في جهنم وسلمهم محروسين للقضاء. ولم يشفق على العالم القديم بل إنما حفظ نوحاً ثامناً كارزا للبر إذ جلب طوفاناً على عالم الفجار. وإذ رمَّد مدينتي سدوم وعمورة حكم عليهما بالانقلاب واضعا عبرة للعتيدين أن يفجروا ... يعلم الرب أن ينقذ الأتقياء من التجربة ويحفظ الأثمة إلى يوم الدين للعذاب» ٢بطرس٢:٦و٧و٩ (ترجمة١٨٧٨).

ويعني من ذلك أنّ الله قد أجرى، في عهود ماضية، آيات عظيمة للخلاص أو للدينونة. فهو إذاً ديان الجميع. وهذه الوقائع إن هي إلا رموز للخلاص والدينونة العتيدين. ولسوف ينقذ «الأتقياء» «ويحفظ الاثمة إلى يوم الدين

للعذاب)). فيوم الدين ليس في الموت، وإنما يحفظ الناس في قبضة الموت إلى ((يوم الدين)).

تنفيذ الدينونة عند مجيء المسيح

إن من اقدم النبوات المسجلة في كتاب الله، نبوة تحدد موعد تنفيذ الدينونة عند مجيء المسيح:

((وتنبأ عن هؤلاء أيضا اخنوخ السابع من آدم قائلا: هوذا قد جاء الرب في ربوات قديسيه. ليصنع دينونة على الجميع ويعاقب جميع فجارهم على جميع اعمال فجورهم التي فجروا بها وعلى جميع الكلمات الصعبة التي تكلم بها عليه خطاة فجار)) يهوذا ١٤و١٥.

إن ((هؤلاء)) الذين تكلم عنهم يهوذا قد ماتوا من عهد بعيد. إلا أن أحكام السماء ما كانت لتطلق فيهم وهم بعد اموات، وإنما في الوقت الذي فيه يأتي ((الرب في ربوات قديسيه ليصنع دينونة على الجميع)).

كما أن إشعياء يقرن موعد الدينونة العتيدة بالوقت الذي فيه ((ميازيب من العلاء انفتحت وأسس الأرض تزلزلت. انسحقت الأرض انسحاقا. تشققت الأرض تشققا. تزعزعت الأرض تزعزعا. ترنحت الأرض ترنحا كالسكران. وتدلدلت كالعرزال وثقل عليها ذنبها فسقطت ولا تعود تقوم. ويكون في ذلك اليوم ان الرب يطالب جند العلاء في العلاء وملوك الأرض على الأرض ويجمعون جمعا كأسرى في سجن ويغلق عليهم في حبس. ثم بعد أيام كثيرة

يتعهدون. ويخجل القمر وتخزى الشمس لأن رب الجنود قد ملك في جبل صهيون وفي اورشليم » إشعياء ٢٤:١٨-٢٣.

وبناء على ذلك فإن التنفيذ الفعلي لنتيجة الدينونة سيكون حين يملك الرب في السماء وفي اورشليم الجديدة. وسيتم هذا حين يستقر المقام بالمفديين في الأرض الجديدة.

في الاصحاح الثاني من سفر دانيال اعطي نبوخذنصر ملك بابل حلما، تراءى له في حلمه تمثال عظيم رأسه من ذهب، وصدره وذراعاه من فضة، بطنه وفخذاه من نحاس، وساقاه من حديد، وقدماه بعضهما من حديد والبعض من خزف. وإذا بحجر كبير قذف بيد خفية وضرب التمثال على قدميه فانسحقت كل معادن التمثال ــ الخزف والحديد والنحاس والفضة والذهب جميعا، وصارت كعصافة البيدَر في الصيف وحملتها الرياح إلى غير قرار. بينما صار الحجر جبلا وملأ الأرض كلها.

وبموجب التعبير الذي أفضى به دانيال عن هذا الحلم، فإنّ الرأس الذهبي يمثل مملكة بابل، والصدر والذراعين التي من فضة مملكة مادي وفارس، والبطن والفخذين التي من نحاس مملكة اليونان، والساقين اللتين من حديد – مملكة الرومان، والقدمين المختلطتين من حديد وخزف – ممالك أوروبا الحديثة. أما الحجر فيمثل مملكة الله التي ستفني هذه الممالك الحالية وتشغل مكانها في الأرض، بل تملأ الأرض كلها، وتثبت إلى الأبد.

هذا الفناء لم يأخذ مجراه بعد. فإن الحديد والخزف ما زالا كائنين في أمم أوربا الحديثة.

تعليم الرب يسوع

وقد حدد الرب يسوع موعد حلول الدينونة في قوله:

« لأنه ماذا يعطي الإنسان فداء عن نفسه. فإن ابن الإنسان سوف يأتي في مجد أبيه مع ملائكته وحينئذ يجازي كل واحد حسب عمله » متى١٦:٢٦و٢٧.

فكل إنسان، إذاً، سيجازي حين « يأتي ابن الإنسان في مجد أبيه مع ملائكته » ولا شك أن قوله « كل واحد » يشتمل على الجميع، أبرارا وأشرارا، أحياء وأمواتا. ويدل هذا النص دلالة قاطعة على أنّ مهمة الاثابة والمعاقبة العتيدين ستبدأ عند مجيء المسيح ثانية.

وقال الرب يسوع أيضا:

« من رذلني ولم يقبل كلامي فله من يدينه. الكلام الذي تكلمت به هو يدينه في اليوم الاخير » يوحنا١٢:٤٨.

فكل إنسان سواء أكان شريرا ام بارا، قبل كلمة الله ام رفضها، سيُدعى للمثول أمام الله. إلا أنّ الحكم لا ينطق به على رافضي كلمة الله في هذه الحياة، ولا في الموت، وغنما في « اليوم الأخير ».

وفي لوقا١٣:٢٥-٣٠ نجد نصا آخر يبرهن ضمنيا على أنّ الأشرار لا يعاقبون وهم في حالة الموت:

«من بعد ما يكون رب البيت قد قام واغلق الباب، وابتدأتم تقفون خارجا وتقرعون الباب قائلين يا رب يا رب افتح لنا، يجيب ويقول لكم لا أعرفكم من أين انتم. حينئذ تبتدئون تقولون اكلنا قدامك وشربنا وعلمت في شوارعنا. فيقول لكم لا أعرفكم. من أين انتم. تباعدوا عني يا جميع فاعلي الظلم. هناك يكون البكاء وصرير الأسنان متى رأيتم إبراهيم واسحق ويعقوب وجميع الأنبياء في ملكوت الله وانتم مطروحون خارجا. ويأتون من المشارق ومن المغارب. ومن الشمال والجنوب ويتكئون في ملكوت الله. وهوذا آخرون يكونون اولين واولون يكونون آخرين».

هاكم أشخاصا ماتوا من عصور، في شوارعهم علم يسوع، أكلوا وشربوا في حضوره، وهلكوا، ولن يكتشفوا انهم في عداد الهالكين حتى يوم القيامة. فلم يقتصر الامر على استبعاد عقابهم عن الموت، أو في أثناء الموت، بل إنهم ما علموا أنهم من الهالكين حتى بعد حلول الدينونة. فكيف يمكن إذاً أن يكونوا في الجحيم لمدة عشرين قرنا ومع ذلك ففي ساعة الدينونة لا يعلمون أنهم كانوا من الهالكين. فلو كان الأموات يعاقبون حال موتهم فكيف علِّم المسيح بخلاف ذلك؟!

والآن أيها القاريء العزيز يجدر بنا ان ننتفع بهذا التصريح الخطير. فلن يمضي وقت طويل قبل أن يكون «رب البيت قد قام واغلق الباب» وقي ذلك الحين سنجد جميعا، وليس الذين سمعوا كرازة يسوع وحسب، أنّ مصائرنا قد تقررت. وكل نفس لا بد أن تظهر أمام كرسي الديان. لا مناص من ذلك. فأنت وانا سنمثل امام الديان. وكل نفس، رضيت أو أبت، ستصدع بالحكم، وتذعن للقرار. لن يكون ثمّةَ ملجأ نلوذ به فنحتمي. وليس بوسعنا أن نرشو الله، أو

نشتري البراءة بالمال. كما لا يستطيعُ محامٍ، مهما كان حاذقا في مرافعته، أن يسترَ خطايانا. كما أنّه لن يمكن استئناف الحكم واحالته إلى محكمة أعلى. فضلا عن كون الديان لن يعبأ بالاعذار، ولن تجوز عليه أكذوبة. ولن يحفل بالإيمان الكاذبة.

هل أنت متأهب لذلك اليوم؟ هل ستر المسيح خطاياك بدمه؟ هل أنت في أمان؟ هل بوسعك أن تواجه الديان بيقين وثقة؟ هل أنت مطيع لوصايا الله؟ هل تُبتَ عن كل خطاياك؟ بالأحرى، هل آمنت إيمانا يكفلُ لك الخلاص؟ الفرصة سانحة الآن، إلا أنها لن تسنح في ذلك اليوم. الآن بينما أناة الله تنتظر ــ وباب الرحمة مفتوح، ورب البيت لم يقم بع ليغلق الباب، بادر الآن، واعمل صلحا وسلاما مع الله بدم المسيح، لكي يكون لك خير وسلام في ذلك اليوم.

يعاقبون بنار

النار هي الوسيلة التي سيستعملها الله في عقاب الأشرار. واستعمالها لن يكون لغاية التعذيب فحسب وإنما للإبادة أيضا. فإن النار ستبيد الأشرار من الأرض إبادة تامة، ولن تقوم لهم قائمة فيما بعد. فالنار لن تمدهم بالحياة وإنما تقضي على حياتهم.

وهذا واضح من تعليم الرب في متى١٣: ٤٠-٤٢ :

«فكما يُجمع الزوان ويُحرق بالنار هكذا يكون في انقضاء هذا العالم. يرسل ابن الإنسان ملائكتَه فيجمعون من ملكوتِه جميعَ المعاثر وفاعلي الإثم. ويطرحونهم في أتون النار. هناك يكون البكاء وصرير الأسنان».

وآية اخرى بهذا المعنى في متى٢٥:٤١ :

«ثم يقول أيضا للذين عن اليسار اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته».

يُستخلص من هذه الآيات أنّ عقاب الخطية سيكون بالنار، وأنّ هذه النار ستقوم بمهمتها ليس في الموت وإنما «في انقضاء العالم» كما يُستخلص أيضا أنّ هذه النار ليست معدةً في الأصل لأعضاء العائلة البشرية وإنما «لإبليس وملائكته» وبناء على ذلك فغنّ البشر لن يكابدوا هذا القصاص ولن يلقوا هذا المصير غلا لكونهم قد تحالفوا طوعا مع الشيطان.

يعاقبون في هذه الأرض

ذلك العقاب وتلك النار سيكونان على هذه الأرض. لن يوسع الله مكانا لعقاب الأشرار غير هذه الأرض التي فيها عاثوا فسادا وجنوا من الخطايا ما جنوا. ولعل شاهدين من كتاب الله يكفيان لتقرير الحقيقة:

«فصعدوا (الأشرار) على عرض الأرض وأحاطوا بمعسكر القديسين وبالمدينة المحبوبة، فنزلت نار من عند الله من السماء وأكلتهم» رؤيا٢٠:٩.

والموعد الذي فيه تُنصب أحكام الله النهائية على الأشرار سيأتي في نهاية الالف السنة. والالف السنة ستبدأ بالمجيء الثاني للمسيح، الوقت الذي فيه يُختطف الأبرار، أحياء وأمواتا، لملاقاة الرب في الهواء، ومن ثمّ يؤخذون إلى السماء ليعيشوا ويملكوا مع المسيح خلال فترة الالف

السنة (١ تسالونيكي٤:١٥-١٧؛ رؤيا٢٠:٤) وفي المجيء الثاني للمسيح سيُصعق جميع الأشرار من بهاء مجده الساطع (٢ تسالونيكي١:٧-٩) ولا يدفنون ولا يضمون بل يلبثون منتشرين على وجه الأرض (إرميا٢٥:٣١-٣٣) ومتى تمت الالف السنة سيقام جميع الأشرار (رؤيا٢٠:٥) وفي ذلك الحين سيحاولون الاستيلاء على المدينة المقدسة أورشليم الجديدة، فتنزل نار من السماء وتأكلهم. رؤيا٢٠:٥-٩.

أمّا تأثير هذه النار في الأشرار فيظهر من ملاخي٤:١:

«فهوذا يأتي اليوم المتقد كالتنّور وكل المستكبرين وكل فاعلي الشر يكونون قشا ويحرقهم اليوم الآتي قال رب الجنود فلا يبقى لهم أصلا ولا فرعا».

حين يحرق شيء ما لا يتخلف منه إلا الرماد، وعليه قيل في الأشرار:

«وتدوسون الأشرار لأنهم يكونون رمادا تحت بطون أقدامكم يوم افعل هذا قال رب الجنود» ملاخي٤:٣.

الخطية لا تُخلّد

يستبان من هذا أنّ الأشرار لن يخلدوا في النار التي يلقون فيها حتفهم وإنما يحترقون احتراقا. ولن يقتصر هذا الفناء على الجسد وحده، كما يظن قوم ممن يتشبثون بمبدأ العذاب الأبدي. نقرأ في حزقيال ١٨:٤و٢٠:

«النفس التي تخطيء هي تموت»

وبناء على فناء الأشـــرار فناء تاما يستعمل الكتاب المقدس تعبيرات كـــهذه «أبدي» و «ابدا الآبدين» فيما يتعلق بمصير الأشرار. والمعنى المقصود بـــها، أنّ هلاك الأشرار هلاك مطلق، لا مناص منه، ولا قيام بعده، لأن فناءهم ابدي.

ودعما لحقيقة الفناء المطلق للأشرار نقرأ في ٢ تسالونيكي١:٩:

«اللذين سيعاقبون بهلاك ابدي من وجه الرب ومن مجد قوته»

وأيضا في متى٢٥:٤٦ نقرأ :

«فيمضي هؤلاء إلى عذاب (وفي الأصل: عقاب) ابدي»

ولاحظ قوة هذا التعبير الذي طالما استعمل للتدليل على مبدأ العذاب الأبـدي. فهلاك الأشرار سيكون أبديا، وعقاب الأشرار سيكون ابديا فلا قيامة من موتهم، سيقضي فيهم قضاء نافذا مفعولا، لا محيص عنه. فلســـنا نـــرى فـــي هذيـــن التعبيرين ما يؤيد زعم القائلين باستمرار العذاب إلى ما لا نهاية له. وما مـــن أحد ينكر تعليم الوحي بأنّ «أجرة الخطية هي موت» (روميـــة٦:٢٣). وليـــس حياة شقاء أبدية.

نارا بدية

إلا أنّ البعض، مع ذلك، يقول مدافعا بأنّ الوحي لا يتكلم عن «هلاك ابـدي» وحسب، وانما يتكلم عن «نار أبدية» متى٢٥:٤١.

ومن هنا يحق للسائل ان يسأل إذا كان العذاب لا يستمر ابدا، ففيم تستمر النار إلى الأبد؟

وعليه نشير على القاريء أن يقرأ العدد السابع من رسالة يهوذا، ومن ثم فليلاحظ أنّ سدوم وعمورة قد كابدتا «عقاب نار أبدية» ومن حيث ان سدوم وعمورة لا تشتعلان الآن بالنار وغنما بادتا بفعل النار الأبدية، فواضح أنّ النار الأبدية ليس ضروريا أن تكون ابدية في مداها وإنما ابدية في مفعولها. ومن ٢ بطرس٢:٦ يبدو جليا أنّ النار الابدية إنما تأتي على الاخضر والهشيم فلا تبقي ولا تذر. وهذا نصها: «وإذ رمد مدينتي سدوم وعمورة، حكم عليهما بالانقلاب، واضعا عبرة للعتيدين أن يفجروا» وكون النار الأبدية لا تحتاج إلى طويل زمن كي تحيل سدوم رمادا يظهر من (مراثي٤:٦) حيث قيل «انقلبت كأنه في لحظة».

ويحق للسائل أن يسأل أيضا عن معنى قول مرقس وهو يعرض لذكر هذه النار إذ قال بانها «نار لا تطفأ» مرقس٩:٤٣-٤٥. ومعناها أنها تأكل إلى الفناء كل ما يدخل فيها ولا يخلص منها شيء، فالنار إذاً لم تجد ما تأكله ضمرت وخبت كما قيل عن أورشليم إنّها أحرقت بنار لا تنطفيء (إرميا١٧:١٩-٢٧؛ ٢ أخبار الايام٣٦:١٩-٢١) إلا أنّها ليست مشتعلة إلى الآن. وإنما يقصد بهذا التعبير تحويلها إلى رماد، كما ستفعل نار الدينونة، ستجعل الأشرار رمادا. فمن ثم لزم ان تكون النار التي سيدان بها الأشرار نارا لا تطفأ، وإلا أطفأها الأشرار.

الفصل السابع

الرّوحَانيَة

أي بحث في حالة الإنسان بعد الموت يعد ناقصا إذا لم نورد كلمة إيضاحية للمدّعيات التي يدّعيها «مناجو الأرواح» من أنهم يصلون بين الأحياء وأرواح الموتى. ولقد رأينا سابقا أن مثل هذا الادّعاء باطل ما دام الأموات في حالة لا شعورية. إلا أننا على الرغم من ذلك سنتصدى لتعليل ظواهر تلك المنظمة الغامضة.

ولا يسع كل نزيه مخلص إلا أن يقرر بأنّ الشطر الأكبر من هذه الظواهر إن هو إلا تخرّص واحتيال وتدليس، ولا يجوز إلا على سلماء القلوب والسُذّج والبلهاء، ولغاية الربح وحدها. إلا أنّ الشطر الآخر لا يمكن ان يُعزى إلى مثل هذه الأسباب. إذ تصحبه قوة خارقة للطبيعة، وإنّ هذه القوة الخارقة ليست من الله وإنما من مصدرٍ آخر كما سنبين فيما يلي.

وقائع مريعة

ومن يستعيد ذكرى فنون قدماء السحرة المصريين الذين طواهم البحر الاحمر مع جنود فرعون، وشعوذة بلعلم التي أوردته موارد الهلكة، واصحاب الجان والتوابع في بابل ونينوى الذين بادوا مع من ضلوا بأضاليلهم، والاختبار الذي مرّ به شاول ملك إسرائيل الذي خرج من جلسة مناجاة الأرواح إلى حيث

انتحر، والعديد من الحوادث التي يحفل بها التاريخ – من كروسوس إلى نابليون الثالث الذي جلبت عليه استشارة الأرواح الشقاء والدمار – والجموع الهائلة ممن سكنتهم الشياطين في البلدان الوثنية فطفقوا يهيمون على غير هدى في عجز وقنوط، كما كان قوم في فلسطين القديمة، عدا الانهيار العقلي والخلقي الذي يُمنى به اليوم كل من يتورّط في بدعة (الروحانية) التي أوردت بالكثيرين والكثيرات يقدّر ان يرى هل كانت الروحانية من الله ام لا؟

قد يهزأ البعض حين يستمعون لأساطير الأرواح والأشباح والقطط السوداء وعجوز تركب عصا مكنسة، إلا أنّ الكثيرين، ممن يبتسمون للامر ويستخفون به، يذهبون إلى غرف مناجاة الأرواح ليروا وسيطة تطوف في فضاء الغرفة في حالة أثيرية، أو تُحمل على مائدة معلقة في الفضاء، وما كانت لتصل إلى مرتبة الوساطة ما لم تكن قد وضعت جسدها ونفسها وعقلها وروحها تحت سيطرة الأرواح المجهولة. والواقع أن لا فرق بين هذه وتلك.

كانت الحية أول وسيط روحي، وكان ذلك في جنة عدن. وقد كانت هذه المخلوقة «أحيل جميع حيوانات البرية التي عملها الرب الإله». ولقد تخير الشيطان هذا الحيوان «الحيَّال» ليقوم بدور الوسيط في أول جلسة في تاريخ مناجاة الأرواح. وبواسطة الحية خاطب حواء، أول مرة. وخاطبها رغبة منه في تضليلها. وجدير بالنظر والاهتمام انه بسبب تصديق «وسيط روحي» دخلت الحية وفي أعقابها سيل دافق من الخطايا والويلات والأمراض والأحزان والأوجاع والمنغصات والحروب والموت. وجدير أيضا بالملاحظة أنه إن كان بوسع الشيطان أن يسيطر ويستولي على ذلك الحيوان بحيث تمكن من جعله يبدو غير ما كان، ثم، بفضل سيطرته على ذلك الحيوان تمكّن من التغرير

بمخلوق بشري بريء، إلاّ يكون لنا اكبر الحق في أن نعتقد انه بوسعه أن يستخدم قوّتَه اليوم بطريقة مماثلة للتغرير بالناس. فإن قدرته على التحايل والدس والخداع قد زادت أضعافا بعد مرور ستة الاف سنة من تاريخ أول جلسة روحية عقدها في الجنة. وإلى يومنا هذا لا يزال منصرفا إلى عمل التمويه والتضليل عن طريق الوسطاء.

منشأ الروحانية العصرية

نشأت مناجاة الأرواح بشكلها العصري في (هايدزرفيل) بولاية نيويورك عام١٨٤٨. وكان أول اتصال مفهوم بالأرواح في العصر الحديث نتيجة لالتماس وَجِّه رأسا إلى الشيطان.ففي ذلك العام كان مزارع يُدعى جون فوكس يُقطن هايدزفيل قرب روتشستر بولاية نيويورك. كان أباً لستة أولاد، اثنتان تسكنان معه، وقد كانتا اصغر أعضاء العائلة، كبراهما تدعى (مرغريت) وتبلغ من العمر خمس عشرة سنة، والصغرى تدعى (كيت) وعمرها اثنتا عشرة سنة. وقد لاحظتا في البيت الذي شغلوه من عهد قريب أصواتا مزعجة تسمع في الليل، فعزتا هذه الأصوات باديء ذي بدء إلى الفئران والقط ثم إلى العوارض والألواح المفككة، إلا أنهما لم تلبثا ان تحققتا بأنّ هذه الأصوات إن هي إلا قرعات واضحة مقصودة. ومرّة بعد أن أوّتا إلى مضجعهما في مساء أول مارس (اذار) سنة١٨٤٨، وكان أبوهما معهما في الغرفة، اشتدت القرعات اكثر من ذي قبل. فنهض المستر فوكس ليحكم أرتاج النافذة فوجدها محكمة، وفيما همَّ بالرجوع لاحظت (كيت) أنه حين هز قفل النافذة خيل إليها بأن

القرعات تجيب، فالتفتت إلى حيث كان الصوت ولطمت إصبعها من أصابع يدها بالآخر وهتفت ((أيها الشيطان، افعل كما افعل)).

وأجابت القرعات في الحال مما أفزع الفتاتين، بحيث لم يعد بهما رغبة في مواصلة الحديث مع ((الشيطان)) إلا أنّ الأم مضت في تقوية اواصر الصلة، وتسلمت منه رسالة تنبئ بانها موجهة من روح (تشارلز روزما) وتفيد بانه قُتِل في هذا البيت عينه منذ بضعة أعوام. وعين لها الموضع الذي دفن فيه، وبعد الحفر في الوضع المعين وجد قسم كبير من هيكل عظمي، وقد دل التحقيق بعد ذلك على أنّ إنسانا تنطبق عليه هذه الأوصاف زار ذلك البيت ولم يره أحد منذ ذلك الحين.

ولم تلبث مرغريت فوكس أن نشطت قواها الخفية في اتصالاتها المستمرة بالأرواح. فوجهت إلى الأرواح أسئلة كثيرة وجاءت الأجوبة على الأغلب صحيحة. وهكذا تمكن البعض من العثور على أشياء مفقودة، والبعض جاء بقصد التحري، وتحقق الكثيرون من أن فتاتي فوكس على اتصال فعلي بأرواح الموتى. ومنذ ذلك الحين انتشرت هذه الحركة كانتشار النار في الهشيم.

عصابة هائلة من الأشرار

لا يفوتنا ونحن ندرس هذه الحركة أن نذكر أنّ ثمّةَ على وجه الأرض جمهورا عظيما غير منظور من الكائنات المسربلة بقوة خارقة، تُدعى في الاسفار المقدسة بالشياطين، وهي كائنات شريرة، تضمر العداء المرير لله والإنسان، ولا همَّ لها إلا إلحاق الأذى بالإنسان والطعن في ذات الله. ويتولى

توجيه هذه العصابة وقيادتها رئيس كان في أحد الأيام ملاكا رفيع القدر في السماء، إلا أنّ الهدف الأعظم الذي جنّد له كل جهوده إنما هو أن يورد الجنس البشري موارد الهلاك، ويجعل كل حادث وظَرف يقع في حياة الإنسان يرمي إلى تحقيق أهدافه الشيطانية.

حين سقط الشيطان من السماء طُرح معه عدد كبير من الملائكة. رؤيا١٢:٧-٩؛٢بطرس٢:٤. ويعلمنا الكتاب أن كل ابنٍ من أبناء الله يلازمه ملاك مكلّف من السماء (متى١٨:١٠؛اعمال١٢:١٢-١٦). ومن غير شك يلازمه أيضا ملاك شرير. وهذا الملاك الشرير، الذي يتلقى أوامره من الشيطان، يعرف كل ما سبق لنا أن عملناه، أو قلناه، يعلم جميع الأسرار التي جرت في جنح الظلام، وخلناها خفيت عن عيون الكل. وذلك الملاك الشرير، الذي كان يلازم عزيزنا حين كان على قيد الحياة يمكنه أن يظهر ويشخص ذلك العزيز الميت في جلسات مناجاة الأرواح. وبوسعه أن يخبر بكل ما يستطيع عزيزنا أن يخبر به لو كان في قيد الحياة. فهو قادر على إفشاء أسرارٍ لم يكن يعرف بها أحد إلا الميت والمستفسر في حجرة المناجاة. وهذا الإفشاء يبدو خارقا للطبيعة بحيث يجعل المستفسر، الذي لم يحِّصن نفسه بما يقوله الوحي عن حالة الأموات، يقتنع بأنه على اتصال فعلي بروح عزيزه الميت. وينقاد بذلك إلى الاعتقاد «بتعاليم شياطين» ١ تيموثاوس٤:١، لأنه إذا ما اقتنع بأنّ ذلك هو روح عزيزه لن يتمالك من تصديق أية رسالة يحملها إليه. وبذلك ينجرف بعيدا عن الله إلى تلك الضلالة المريعة. فالأرواح التي تظهر في جلسات مناجاة الأرواح يمكن أن تعزى إلى أرواح الشياطين. وهذه الحركة هي من فعل ذلك الذي طرح من السماء، وخليق بأولاد الله في هذه الأيام الأخيرة أن يحتاطوا أشد الاحتياط لهذه الضلالة الخبيثة.

ذكاء كله شرّ

نحن نسلّم بوجود ظواهر غامضة وخارقة للطبيعة، ونقرر بأن ثمّةَ دلائل على قوة شخصية وذكاء عقلي في الظواهر الروحانية لا سبيل إلى تعليلها بموجب المباديء العلمية السائدة. إلا أنّ هذه القوة المستعلنة هي قوة شيطانية، وكذلك الذكاء ذكاء شيطاني بحت.

والآن لنستعرض بعض ما يحدث في حجرة تحضير الأرواح لنشهد إحدى جلساتها. يستفسر الوسيط «هل الأرواح حاضرة!» فيأتي الجواب: «طق، طق، طق» ثلاث قرعات توالٍ. ثم يعود فيسأل «أمتأهبة للاتصال؟» فتتكرر القرعات الثلاث. «هل هذه روح جدة المراجع؟» «طق، طق، طق» «وهل الروح سيستعمل حروف الهجاء؟» «طق، طق، طق».

وهكذا يجري الاتصال، بطرق بطيئة أليمة بين الجدة وحفيدها مع العلم أن هذه الجدة لها ثلاثون سنة «سكنت الجنان» كما يزعمون، في حالة الرقي والتقدم ولا تعلم أن تتكلم مثل ما كانت وهي في قيد الحياة.

هذا، ومن أدراني أن هذه الروح هي روح جدتي؟ فبوسع أي روح أخرى أن تحدث مثل هذه القرعات. وبوسع أي روح أن تزعم بأنها روح جدتي فأنا رهن لكائن عاقل لا يجرؤ على الاسفار عن وجهه ومع ذلك يتوقع مني إيمانا مطلقا.

ولكن ثمّةَ تجارب أخرى يقدمونها. فهم يقدمون لنا الخط اليدوي عينه الذي الفناه في خط الراحل. إلا أن هذا أيضا لا يبرهن على شيء. فالسجون تعج

بالرجال الذين يتقنون فن تزوير الخطوط. فإن كان الأموات ما زالوا أحياء يرزقون، كما تزعم الروحانية، فكيف يضمنون لنا أنّ المزورين والمحتالين والمجرمين لا يواصلون التزوير والاحتيال بعد الموت.

إلا أنّ البعض يقررون بأنّ الأرواح تصرح بأشياء لا يستطيع أحد من الحاضرين أن يعرفها. لسنا على يقين من ذلك. فقد تكون ثمّةَ أرواح لا نراها، وليست هي بأرواح جدتك أو زوجتك أو طفلك، وإنّما أرواح عرفت تاريخ عائلتك من أجيال، والتي قد تكون مطلعة على كل حادث وقع في حياتك. فإن روحا كهذه تعرف كل أسرارك، وقد سمعت اكتم همساتِك السرية، فليس من الغريب أن تثير دهشتك حين تعلن لك أشياء كنت تعتقد أنّها خفيت على الجميع.

حيَّرت العلماء العلميين

يدّعي البعض بأن هذه الأرواح إنّما تتحدث بورع، وتنطق بالحق، وتزجي نصائح وتعليماتٍ صالحة. لنفرض أنّ ذلك كذلك، في بعض الأحيان، فإن هذا لا يبرهن على شيء. فإن الرسائل الرديئة تأتي، بالطبع، من أرواح رديئة، إلا أنّ الرسائل الجيدة ليس من الضروري أن تأتي من أرواح صالحة. فبينما الرجل الصالح لا يكذب، فإن الرجل الشرير الكاذب قد يقول الصدق أحيانا، فالروح الشرير يستطيع أن يقول الحق والكذب، يقدم لكل سمكة من الطعم ما تستطيبه، إى أنه لا يرمي من وراء الكل إلا إلى الخداع والتضليل.

ولنسلّم، لحظة، بأنّ هذه الأرواح هي، كما تدعي، أرواح الموتى، وحتى مع هذا الفرض يجدر بنا أن نذكر أن في الأرض غير قليل من الأحياء من يكذب،

ويخدع، ويخاتل، ويسرق، ويزور وينصب ويحتال. فأي ضمان لدينا، فيما لو كان الأموات يحسّون ويعون، بأنّ مثل هؤلاء الأشخاص سيكونون بعد موتهم أفضل مما كانوا عليه في حياتهم؟

هذا ونحن على يقين بأنّ العلماء العلميين قد حاروا في تعليل هذه الظواهر، وقد أقروا بأنّها خارقة للطبيعة. ونحن بدورنا نقرر ذلك. وليس من المستغرب أن يحار العلماء، فإن بوسع العلم أن يفسّر أي شيء يُبنى على قوانين الطبيعة، أو القوى المادية، إلا أنّه لن يستطيع تفسير أعمال تأتي نتيجة لميول كائنات عاقلة، لها إرادة حرة، ولا سيّما حين يباشر العلم فحصها وهو لا يؤمن بوجود القوى والوسائط التي تنتج هذه الظواهر.

بوسع العلماء العلميين إجراء تجربة في الكيمياء أو الفيزياء، مرة تلو المرة، وفي الحالات المتماثلة يحصلون على نتائج متماثلة. ولكن حين يشرع العالم في إجراء تجربة على كائن حي، طلق الخيال، حرّ الارادة، لن يستطيع أن يتنبأ بما ينتظر أن يأتيه ذلك الكائن من حركة اكثر مما يستطيع أجهل الناس. فقد يمكن الاستدلال بدقة على ما ستقوم به الآلة بعد حين، إلا أنّ أحكم الناس سيجد مشقة عظيمة في التنبؤ عن نوع الحركة التي سيأتيها قرد بعد قليل. ولن يجد العالم الفلكي مشقة في تعيين مواقع أبعد النجوم والمجموعات وتحديد بروجها وافلاكها، إلا أنّ كل حكمته الفلكية وعمله الحسابي لن يساعداه على تعيين الموقع الذي فقد فيه طفله قبعته الجديدة.

يتنكرون بزي المسيحية

فإنّ الأمور المتوقفة على الإرادة البشرية والفكر البشري لا يمكن الإنسان أن يحسب حسابها بدقة. وليسلَّم مرة بوجود ربوات من الكائنات العاقلة غير المنظورة والتي كثيرا ما تتدخل في شؤوننا، وعندها يتضح فورا لماذا يتحير العلم من ظواهر الروحانية، وهو الذي ينكر بشدة وجود مثل هذه الكائنات.

واليوم تتنكّر الروحانية في زي المسيحية، وذلك في البلاد المسيحية، وتخفي صفاتِها الحقيقية خلف ستار من القداسة والورع. فهي تشييد الكنائس وتتظاهر بأنها احدى الطوائف المسيحية. وبهذا المظهر المموه الخداع تجرف الملايين إلى العطب والهلاك. إلا أنّها بدء تاريخها الحديث لم تزعم لنفسها شيئا من ذلك. واعترفت صراحة بصلتها بالشيطان، الذي طالما وجهت له الصلوات والعبادة. وقد ورد في المجلة الرسمية التي كانت تُعَدّ لسان حالهم في ذلك الحين عددٌ من الصلوات الموجهة إلى صاحب الجلالة الشيطان، نكتفي بإيراد ثلاث منها:

«يا زهرة بنت الصبح، يا من سقط من مركزه الرفيع، والذي يميل البشر إلى تسميته بالشر المجسم، ها نحن نرفع إليك أصواتنا. نحن نعرف بأنك لا تستطيع أن تمسنا بسوء إلا بسماح من الله القدير الذي أنت جزء منه لا يتجزأ، والذي تقوم بدوره في خدمة الله، ولسنا نستطيع أن نناقش أحكام الله. فمن أعماق دناءتك وإسفافك تنبع أنهار من الحق الإلهي. فلماذا نتحوّل عنك؟ هل في نظر الله واحد أفضل من الآخر؟ نحن نعلم أنك في الختام ستبزغ في كونه الفسيح مُطهّراً بفعل محبة الله، لأن محبته لن تبلغ الكمال بينما يتخبط أحد

أبنائه في شقاء. وها نحن أولاء نقف معك، يدا بيد، أمام عرش القديم الأيام. وكما كنت كوكب الصبح ستصير أيضا ملاكا من النور. فيا أيها الشيطان، لسوف نقمعك بحبنا، ولسوف تسجد بدورك معنا في تواضع أمام عرش الله.» من (بانر اوف لايت)٢١ديسمبر (كانون الأول) عام١٨٦١ ص٨.

«يا ملك النور، ويا رئيس الظلام، الله والشيطان، الخير الأعظم والخير الاقل، والكائن الكامل والكائن الناقص! نسألكما ونلتمس منكما ان تهيئا لنا ان نعرفكما، لأننا بمعرفتكما نعرف المزيد من أنفسنا. وإن كان في سبيل ذلك يتعين علينا أن نعتسف في الجحيم، فيا مرحبا، نعتسف ثمّةَ مع أرواح الظلام. تخبرنا الكنيسة والعالم بأن الشيطان يجول في الأرض كأسدٍ زائرٍ ملتمسا من يبتلعه هو، إلا أننا لا نعرف فيك إلا نقيبَ الله، الذي يقف عن يساره، هادي البشرية، الواسطة التي تعمل على البلوغ بكل شيء، سواء أكان عقليا ام أدبيا، إلى الكمال» – (بانر اوف لايت)١ مارس (آزار) عام ١٨٦٢م.

وفي استفتاح مناظرة مع قسيس مسيحي حول موضوع الروحانية، قدم الأستاذ و. تشاني وهو وسيط بسان هوزي بكاليفورنيا، بتاريخ٢٩ يناير عام ١٨٧٤م، قدم هذه الصلاة: «أيها الشيطان رئيس الأبالسة في جحيم المسيحيين! يا ملك الهاوية والعقارب التي أعطي لها أن تضرّ الأرض لمدة خمسة أشهر، أتضرع إليك أن تصغي إلى صلاتي ... بارك عبدك في خدمته أمامك. املأ فمه بأقوال الحكمة. ومكنِّه من الدفاع عنك ضد المفتريات الكاذبة، والتهم الباطلة التي سوف توجه إلى جلالك الجهنمي، فينتصر بالحق والمنطق على خصمه، لكي يدرك هذا الجمع بأنك شيطان تسمع وتستجيب الصلاة» – (سينز اوف تيمز)١٠مايو – (أيار) عام ١٨٧٧م.

ومن عالم الأرواح جاءت رسالة تصرح بأنّ ما توقعه الروحيون قد تمّ، وأنّ الشيطان قد تجدد فعلا. وقد جاءت هذه الرسالة من قسيس لوثري متوفٍ وهذا نصها كما ورد في جريدة (بوست) وشنجتون دي سي الصادرة بتاريخ١ نوفمبر (تشرين الثاني) عام ١٩١٤م:

« إنّ الإعلان الجديد والحق العظيم الذي خوّلني شرف إبلاغه هو حقيقة كون الشيطان قد تاب توبة صادقة. فصلوا من أجله يا جميع القسيسين وابناء الله، لأنّ الشيطان (هيليوس) يخوض معركة عنيفة كما بلغ إلى علمي هذا الصباح. ففي حين أنّ العديد من الأرواح التي في الهاوية أو في الدرك الأسفل من جهنم في الشمس، قد تابوا معه وانحازوا إلى يهوه، بقي الكثيرون الذين يعرقلون بشدة ووحشية تقدم هيليوس وسائر الأرواح التي تركتهم. وانتم تعلمون كيف يجد الذين يهجرون الشر إلى البر مشقة في حماية أنفسهم من رفاق السوء السابقين. فلا يقتصر الأمر على الشك في صدق توبتهم، وإنما يبذلون كل وسعهم، بدافع الانتقام، لإنزال الأذى بهم.

«والآن تصوروا أنّ الشيطان قد تاب، كما هي الحال فعلا، فإنّ أمامه معركة حامية. كان الشيطان ملاكا رفيع القدر منذ أيام القدم. ولعله أحد الآلهة أو أبناء الله، وسقط في الكبرياء. وكان لألوفٍ من السنين سجان الطبقة السفلى من جهنم في الشمس، ولذا أطلق عليه الاسم (هيليوس) وهي عبارة يونانية معناها الشمس ».

« هذا وتوبة الشيطان التي حدثت مؤخرا كانت أعظم انتصار للمسيح، ونقطة التحول في تاريخ الأرض »

الروحية تنتشر

من هذه البداية الصغيرة التي وصفناها آنفا، قفزت الروحية قفزات واسعة في مختلف نواحي نشاطها. حتى بات الذين يعتنقون الروحية، في الولايات المتحدة الأمريكية، يحصون بمئات الالوف.

إلا أنّ ادّعاء الاتصال بالموتى ليس بالشيء الحديث العهد. هو شيء قديم وإنما أطلق عليه اسم جديد. وقديما لم تكن تعرف بالروحانية أو مناجاة الأرواح، وإنما بالعرافة، والسحر، والعيافة، والتفاؤل وأصحاب الجان، والتوابع. وبهذه الأسماء يناديها الوحي، وهو يحمل عليها ويندد بها.

وبما أنّ هذه الضلالة الخبيثة تقتنص الكثيرين في اشراكها وفخاخها، فجدير بنا أن نتحرّى ما يقوله فيها الله. لقد أورد الله الكثير من التعليمات بشأنها في كتابه العزيز، ولسوف نجد هذه التعليمات عظيمة الأهمية ونحن نواجه مدّعيات الروحية المضلة.

قال الله لشعبه قديما: «لا تلتفتوا إلى الجان ولا تطلبوا التوابع فتتنجسوا بهم. أنا الرب الهكم» لاويين١٩: ٣١.

في هذه الآية نرى أنّ الله يحرم على شعبه أن يكون لهم أي شأن بمن يدّعون لانفسهم شيئا من ذلك، ويستتلي فيصف كل اتصال من هذا القبيل بأنه من عمل الشيطان يجب اجتنابها.

الله يحرم مزاولة الروحية

«واقترب إليكم للحكم وأكون شاهدا سريعا على السحرة» ملاخي٣:٥، وكان السحر يقوم على زعم الاتصال بأرواح الموتى. فالسحر اذاً هو الاسم القديم للروحانية العصرية. «فلا تسمعوا انتم لأنبيائكم وعرافيكم وحالميكم وعائفيكم وسحرتكم ... لأنهم إنما يتنبأون لكم الكذب» إرميا٢٧:٩و١٠.

تزعم الروحانية بأنها تستطيع أن تحسر الستار عن المستقبل بكل دقة. وهذا مجرد رجم وتدجيل لنها لا تستطيع ذلك بحال من الاحوال. قد يكون بوسع الوسطاء أن يستخلصوا بعض النتائج المنطقية من دراسة المقدمات والسوابق، وهذا ما نستطيعه نحن ايضا، إلا أنهم لا يملكون معرفة خارقة للطبيعة فيما يتعلق بالمستقبل. فهم لا يعرفون شيئا عن المستقبل من باب اليقين. «وإذا كان في رجل أو امرأة جان أو تابعة فإنه يُقتل، بالحجارة يرجمونه، دمه عليه» لاويين٢٠:٢٧.

كانت هذه هي العقوبة التي يعاقب بها كل من يحاول الاتصال بأرواح الموتى، وثمّةَ من لا يكفّون عن الاستهزاء بالوحي لانطوائه على مثل هذه الشرائع. ولكنّ الجدر بالناس أن يحسبوا حسابهم قبل أن يخطوا خطوة في ها السبيل. ولن يلبثوا ان يكتشفوا أنّ تلك الممارسات الشيطانية التي زاولتها الروحية قديما، كما هي الحال في يومنا هذا، لا تذخر لمن يرتمي في أحضانها إلا المرض والجنون والانحطاط والانهيار والموت، وإنّ من يزاولون هذه الفنون السرية كثيرا ما يرتكبون أفظع الجرائم والموبقات البربرية، التي هي في ذاتها سبب يبرر مثل هذا الحرم الشديد. أما عن تقدير الله لمثل هذه

الممارسات فيظهر مما يلي: «لا يوجد فيك (بينكم) من يجيز ابنه أو ابنته في النار ولا من يعرف عرافة، ولا عائف، ولا متفائل، ولا ساحر. ولا من يرقي رقية ولا من يسأل جانا أو تابعة ولا من يستشير الموتى. لأن كل من يفعل ذلك مكروه عند الرب» تثنية١٨: ١٠-١٢.

فان كان سؤال الجان واستشارة الموتى أمرين محرمين في القديم، فهل يحلاّن في عصرنا هذا لمجرد تغيير طفيف في الاسم أو الأسلوب.

وفي العهد الجديد ورد ذكر السحر بين طائفة من الرذائل التي على شاكلته. «وأعمال الجسد ظاهرة التي هي زنى عهارة نجاسة دعارة عبادة الأوثان سحر عداوة خصام غيرة سخط تحزب شقاق بدعة حسد قتل سكر بطر وأمثال هذه التي أسبق فأقول لكم عنها كما سبقت فقلت أيضا أن الذين يفعلون مثل هذه لا يرثون ملكوت الله» غلاطية٥: ٢١-١٩.

امتحنوا الأرواح

لقد قيل لنا أن نمتحن كل هذه الحركات التي تدّعي أنها من الله:

«أيها الأحباء لا تصدقوا كل روح بل امتحنوا الأرواح هل هي من الله لأنّ أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا إلى العالم» ١ يوحنا٤: ١.

أمّا كيف، وبماذا، نمتحن الأرواح فواضح في قوله:

«واذا قالوا لكم اطلبوا إلى اصحاب التوابع والعرافين المشقشقين والهامسين. ألا يسأل شعب إلهه؟ أيسأل الموتى لأجل الأحياء؟ إلى الشريعة وإلى الشهادة، إن لم يقوموا مثل هذا القول فليس لهم فجر» إشعياء٨:١٩و٢٠.

فبدلا من أن يسأل الأحياء موتاهم. ألا يسألون بالحري ألههم. فحين تستحثنا الروحانية على سؤال الموات على يد وسيط تسيطر عليه روح عرافة (أعمال١٦:١٦-١٨) حينئذ يليق بنا أن نسأل الله. وعلينا أن نمتحن مدّعيات الروحانية بـ (الشريعة) وبـ (الشهادة) أي اسفار الوحي. فإن كانوا لا يعلّمون تعليما مطابقا لهذا المحكّ الإلهي فليس فيما يعلّمون به نور من الله.

واذ نمتحن الروحية بهذا المقياس الإلهي نراها تخيبُ اجمالا وتفصيلا. فالتعليم الذي يقوم عليه منهاجَها يتناقض مع أبسط نصوص الوحي - فالروحانية تعلّم بأنّ الأموات يشعرون، على حين أنّ الكتاب المقدس يقرر بأنهم لا يشعرون ولا يعون.

ليست الروحية كلّها تحايل ودسّ. فثمّةَ قوة خارقة للطبيعة تؤازرها، إلا أنّ هذه القوة ليست قوة الله، وغنما قوة الشيطان. وتلك الأرواح التي تظهر في الضوء الباهت في حجرة تحضير الأرواح ليست قَطعاً أرواح أصدقائنا الراحلين، «إنّهم أرواح شياطين صانعة آيات» بهذا يصرح كتاب الله، رؤيا١٦:١٤.

وكل من يتصل بهذه الأرواح التي تشخّص الأموات يجدون أنفسهم إزاء قوّة لا يستطيعون مغالبتَها أو الصمود لها. فمن إغراءٍ واستمالة، إلى آياتٍ تُجرَى أمام عيونهم، إلى سائر ما يحملهم على الاقتناع بأنّها «قوة الله العظيمة».

ويترتب على ذلك أن يشكوا في كلمة الله التي تقاوم مدّعيات الروحانية، ويندفعون في هذا السبيل الشائك إلى حيث يفارقهم الله، كما فارق شاول الملك، وعندها يتخبطون في أشراك الشيطان. وهكذا سيهلك الالوف ومئات الالوف في هذه الحملة الشيطانية الأخيرة التي يهدف بها إلى تضليل العالم أجمع. إنّ ترسنَا الوحيد الذي نصد به هجمات العدو المغير وأضاليله المهلكة إنّما هو إيمانُنا – إيمانُنا بكلمة الله. هذا هو حرزُنا الحريز وحصنَنا الحصينَ الذي نركض إليه ونتمنّع. فحين نؤمن بقوله الوحيُ عن حالة الأمواتِ لا تلبث أن تنكشف أمامَنا حقيقةُ الروحانية.

الفصل الثامن

المجيء الثاني للمسيح

عند مجيء المسيح سيُطلق سراحُ شعب الله من اسار الموت. ولذلك فإنّ مجيء المسيح، ملكِ الملوكِ وربِّ الأرباب، كان في جميع العصور مُبتغى آمالِ القديسين ومشتهى أمانيهم. فمن آدمَ إلى يومنا هذا والمؤمنون يتطلعون بشوق وحنين إلى مجيء المسيح لردِّ الأمور إلى نصابِها، وإبادة الموت، وتجديد الكون الذي لوّثته الخطية ودنّسته. ومن إعلانات الله ندرك أنّ تدبير الخلاص الذي أعده الله إنّما يهدف إلى ملاشاة الخطية بعد أن تأخذ مجراها ويبلغ سيلُها الرُبى.

وها قد شارف عهدُ سيادةِ الخطيةِ على الختام. والرسالة التي تؤذّن بقرب رجوع المسيح إلى هذا العالم يُنادى بها الآن في العالم أجمع. ولقد قُدر لهذا الجيل أن يرى الفصلَ الأخير من قصة البشرية المعذبة. ويظهر هذا من النبوة التي فاه بها يسوع على جبل الزيتون، والمدونة في الاصحاح الرابع والعشرين من إنجيل متى.

أعطيت هذه النبوة إجابةً عن السؤال الموجه إليه من التلاميذ «متى يكون هذا وما هي علامة مجيئك وانقضاء الدهر؟» متى٢٤:٣. وأجاب يسوع هذا السؤال بنبوة تختصُّ بخراب اورشليم، واستطرد فأنبأ بالحوادث الرئيسية في تاريخ العالم من ذلك الحين حتى ختام الزمن. فأعلن أنّه بعد خراب أورشليم،

الذي وقع سنة ٧٠ ميلادية ستكون فترة «ضيق عظيم لم يكن مثله منذ ابتداء العالم إلى الآن ولن يكون» عدد ٢١. وتمت هذه النبوة خلال فترة الاضطهاد البابوي الذي، بموجب نبوة دانيال٧:٢٥ كان ليدوم (زمانا وأزمنة ونصف زمان) أي مدة ١٢٦٠سنة. ابتدأت هذه المدة في سنة ٥٣٨م وانتهت سنة ١٧٩٨م حين أسر القائد برتييه (أحد قواد الثورة الفرنسية) البابا ونفاه إلى فرنسا.

«ولو لم تقصّر تلك الأيام لم يخلص جسد. ولكن لاجل المختارين تقصر تلك الأيام» عدد ٢٢.

والاضطهاد الذي قيل أنّه سيقع على الكنيسة سيكون الشدّة بحيث لو لم يقصّر أمدُه ما كان ليُبقي على أحد من شعب الله. ولقد امتد وقت الاضطهاد إلى سنة ١٧٩٨م. ولكن قبيل هذا التاريخ بدأ الناس يستشعرون تأثير مباديء الإصلاح البروتستانتي ومن ثم خفّت حدة الاضطهاد منذ عام ١٧٧٥م. فهذه الفترة التي تتراوح بين سنتي ١٧٧٥م و ١٧٩٨م هي الفترة التي قُصّر بها وقت الاضطهاد العظيم الذي وقع على المسيحيين.

«وللوقت بعد ضيق تلك الأيام تظلم الشمس والقمر لا يعطي ضوءه».

تصرح هذه الآية في جلاء تام بأن هذه العلامة ستتم «بعد ضيق تلك الأيام» وليس بعد أيام الضيق – فإن أيام الضيق انتهت عام ١٧٩٨م، على حين ان الضيق عينه انتهى نحو عام ١٧٧٥م. ومرقس، عند تدوينه لهذه النبوة أوردها بهذا النص:

«واما في تلك الأيام (قبل عام ١٧٩٨م) بعد ذلك الضيق (بعد عام ١٧٧٥م) فالشمس تظلم والقمر لا يعطي ضوءه» مرقس١٣: ٢٤.

اليوم المظلم وتساقط النجوم

وكذلك كان حدوث هذه الظاهرة العجيبة ينحصر بين عام ١٧٧٥م وعام ١٧٩٨م. وفي تلك الفترة بالذات حدثت هذه العلامة بشكل يثير الدهشة والعجب. كان ذلك في مايو (ايار) ١٧٨٠م. نحو الساعة العاشرة صبيحة ذلك اليوم احتجب نور الشمس وأطبق على العالم ظلام حالك. حتى أنّ الطيور غردت أغاريد المساء وعادت إلى أوكارها. وكان من الضروري أن توقد المصابيح في البيوت ليتمكن الناس من قراءة الأحرف العادية. وشعر الجميع بأنّ هذه الظاهرة إن هي إلا علامة على قرب نهاية العالم. إذ وقعت في الموعد المحددن إتماما لنبوة المسيح في متى٢٤: ٢٩.

«والنجوم تسقط من السماء» عدد٢٩ وقد تمت هذه العلامة في صباح اليوم الثالث عشر من نوفمبر (تشرين الثاني) عام ١٨٣٣م حين أمطرت السماء وابلا من النيازك والأجرام السماوية بشكل لم يسبق له مثيل في تاريخ الأرض، إتماما لهذه النبوة.

«وحينئذ تظهر علامة ابن الإنسان في السماء، وحينئذ تنوح جميع قبائل الأرض ويبصرون ابنَ افنسان آتيا على سحاب السماء بقوة ومجد كثير. فيرسل ملائكته ببوق عظيم الصوت فيجمعون مختاريه من الأربع الرياح من اقصاء السموات إلى اقصائها» عدد٣٠و٣١.

فحين نرى هذه العلامات التوالي – الضيقة العظيمة، واليوم المظلم، وتساقط النجوم – ندرك يقينا أنّ مجيء المسيح قريبٌ وكأنما بإنسان يقرع الباب.

ومبالغة في التوكيد قال المسيح: «الحق أقول لكم لا يمضي هذا الجيل حتى يكون هذا كله» عدد ٣٤.

وهذا مما يحصر مجيء المسيح في جيل ما. فإنّ من يرى تساقط النجوم وهي العلامة الأخيرة التي أعطيت من الرب، فإنه يرى أيضا أوائل الجيل الذي لا يمضي حتى «يكون هذا كله» – أي يأتي المسيح في مجده.

ولا شك في أن من الذين ولدوا عام ١٨٣٣م سيكونون بين الأحياء حين يأتي الرب. كما كان الحال مع الجيل الذي سمع رسالة يوحنا المعمدان وكرازة المسيح ورسله، وثم رفض تلك الرسالة وتسبب عن رفضه إياها خراب أورشليم. كذلك في هذه الأيام الاخيرة، فإن الجيل الذي يسمع رسالة مجيء المسيح وما يواكبها من حقائق وتعاليم، ويرفض هذه الرسالة فان الرب «سيبيده بنفخة فمه ويبطله بظهور مجيئه». اليوم ينادى بهذه الرسالة في كل أنحاء العالم. فجيلنا هذا هو، بغير نزاع، الجيل الذي قُدر له ان يرى مجيء المسيح في المجد.

المجيء المزيف

لقد حاول الشيطان ان يحرِّف حتى حقيقة المجيء الثاني للرب. فقاد البعض إلى الاعتقاد ان المسيح لن يأتي حرفيا، وان نبوات الوحي المتعلقة بمجيئه انما

تتم بالقدر الكافي عند موت كل شخص. وخدع البعض بجعلهم يعتقدون ان المجيء الثاني للمسيح سيكون سريا، وذلك بان يختطف واحد من هنا وآخرون هناك. وساق البعض الآخر إلى الاعتقاد ان المسيح قد جاء ثانية بالفعل.

ما من شك في ان الشيطان سيحاول، قبل مجيء المسيح ثانية، ان يزور مجيئه، حيث يقوم، هو نفسه، بتمثيل دور المسيح وتشخيصه. ويظهر هذا جليا من قول الرسول بولس:

«وحينئذ سيستعلن الاثيم الذي الرب يبيده بنفخة فمه ويبطله بظهور مجيئه. الذي مجيئه بعمل الشيطان بكل قوة وبآيات وعجائب كاذبة» ٢تسالونيكي٢:٨و٩.

فلنا اذاً ان نتوقع تزييف مجيء المسيح. اذ أن الشيطان سيموه على الناس ويتظاهر بأنه المسيح، وسيحرص اشد الحرص على تقليده، ولا غرابة في ذلك فانه يستطيع ان يغير نفسه إلى شبه ملاك من النور (٢تسالونيكي١١:١٤). ولسوف يخاطب الناس بالصوت الرفيق الحاني نفسه الذي كان ليسوع حين عاش في الأرض. وسيصنع آيات، ويشفي المرضى، ويتكلم بلغات، ويصنع العجائب عينها والأعمال نفسها التي يتوقعها الناس من المسيح. وستنطلي هذه الخدعة الماكرة على الكثيرين فيقدمون للشيطان ولاءهم وينضمون تحت لوائه. ولا شك ان هذه الضلالة ستكون آخر وأخبث المحاولات التي يقوم بها الشيطان قبل مجيء المسيح ثانية.

ومما مهد الطريق لهذه الضلالة ذلك التعليم الذي بثه الشيطان – بان المسيح قد جاء ثانية فعلا إلى هذه الأرض، وان هذا الحادث قد حدث عام

١٨٧٤م و ١٩١٤م وانه لن يمضي وقت طويل قبل ان يعلن ذاته. وينص هذا التعليم على انه رغم كونه قد جاء سنة ١٨٧٤م و ١٩١٤م إلا أنّ مجيئه كان سرّيا، لم يعلم به إلا القليلون، إلا أنّه لن يلبث أن يظهر للعالم اجمع، ويشيد ملكوتا زمنيان ويحكم لمدة ألف سنة، وفي هذه الفترة ستتاح لكل من لم يقبل المسيح في هذه الحياة فرصة أخرى لقبوله. ولا شكّ في أنّ هذا التعليم المضلّ الذي صادف شيوعا وهوى من نفوس الناس سيُعدّ العالم للمحاولة العظمى والأخيرة التي سيقوم بها الشيطان في سبيل القضاء على عمل الرب.

كيفية مجيء المسيح

ليس من الأمور الحاتمة على شعب الله أن ينخدعَ في امر مجيء المسيح. اذ يعلّم الوحي بوضوح بأنّ هذا الحادث الجليل لم يحدث بعد، وأنّه حين يجيء المسيح بالفعل سيكون مجيئُه حرفيا، في سحب السماء، مشهودا من العالم اجمع.

وكون مجيء المسيح سيتمُّ حرفيا يظهر من مدلول النص التالي: ((وفيما كانوا يشخصون إلى السماء وهو منطلق اذا رجلان قد وقفا بهم بلباس أبيض. وقالا أيها الرجال الجليليون ما بالكم واقفين تنظرون إلى السماء. إنّ يسوع هذا الذي ارتفع عنكم إلى السماء سيأتي هكذا كما رأيتموه منطلقا إلى السماء)) اعمال١:١٠و١١.

أجل إنّ ((يسوع هذا)) هو الذي سيأتي، ولسوف ((يأتي هكذا)) كما ارتفع إلى السماء. فحين مضى إلى السماء ((أخذته سحابة عن أعينهم)) اعمال١:٩،

وكذلك حين يأتي ثانية سيأتي مع السحاب. «هوذا يأتي مع السحاب وستنظره كل عين والذين طعنوه وينوح عليه جميع قبائل الأرض» رؤيا١:٧.

فلن يكون مجيئُه سريا، كما يزعمون. «ستنظره كل عين» «لأنه كما أنّ البرق يخرج من المشارق ويظهر إلى المغارب هكذا يكون أيضا مجيءُ ابنِ الإنسان» متى٢٤:٢٧.

ولن تتاح للإنسان فرصة للتوبة بعد مجيء المسيح. بل قبيل مجيئه بفترة وجيزة ستُغلق أبوابُ الرحمة، وينطق ديانُ الجميع بهذا الامر الرهيب: «من يظلم فليظلم بعد، ومن هو نجس فليتنجس بعد، ومن هو بار فليتبرر بعدن ومن هو مقدس فليتقدس بعد» رؤيا٢٢:١١، ثم يستتبع: «ها أنا آتي سريعا وأجرتي معي لأجازي كل واحد كما يكون عمله» رؤيا٢٢:١٢.

قيامة الأبرار والأشرار

لسوف يقضي مجيء المسيح على سيادة الخطية، ويُنقذُ شعب الله من ذلك الطاغية الجبار الذي استبعدهم طيلة العصور والأجيال. فعند مجيء المسيح سيقوم من الموت كلُّ شعب الله، منذ خلق العالم إلى آخر من رقد في المسيح على رجاء القيامة، لينطلقوا مع المسيح إلى تلك المنازل التي مضى أولا لإعدادها. «لان الرب نفسه بهتاف بصوت رئيس ملائكة وبوق الله سوف ينزل من السماء والأموات في المسيح سيقومون أولا: ثم نحن الأحياء الباقين سنخطف جميعا معهم في السحب لملاقاة الرب في الهواء. وهكذا نكون كل حين

مع الرب » ١ تسالونيكي٤:١٦و١٧. «واما بقية الأموات (أي الأشـــرار) فلـــم تعش حتى تتم الالف السنة رؤيا٢٠:٥.

فلسوف تكون قيامتان، قيامة الأبرار، التي تجري عندما يأتي المسيح ثانية، وقيامة الأشرار، التي تقع بعدها بألف سنة. فالالف السنة تفتتح بقيامة وتختتـم بقيامة. وفي خلال الالف السنة يكون الأشرار في قبضة الموت.

يستبان من هذه الآيات أنّه عند مجيء المسيح سيقام جميع الأبرار الأموات ويتغيّر جميعُ الأبرار الأحياء والأبرار المقامين، ويؤخذ ابرار الدهور جميعاً إلى تلك المنازل التي يدأب المسيح الآن في اعدادها، وهنالك في باحـــات الســـماء وصروحها الملكية (يملكون مع المسيح ألف سنة) رؤيا٢٠:٤.

وفي الوقت الذي فيه يقام الأبرار الأموات ويتغيّر الأبرار الأحيـــاء، ســـيُباد الأشرار الأحياء «من وجه الرب ومن مجد قوته » ويلبثون في قبضـــة المـــوت حتى القيامة الثانية في ختام الالف السنة.

« إذ هو عادل عند الله ان الذين يضايقونكم يجازيهم ضيقا. وإيـــاكم الذيـــن تتضايقون راحةً معنا عند استعلان الرب يسوع من السماء مع ملائكة قوتـــه. في نار لهيب معطيا نقمة للذين لا يعرفون الله والذين لا يطيعون إنجيـــل ربِنـــا يســـوع المســـيح. الذين سيعاقبون بهـــلاك أبدي من وجـــه الرب ومن مجـــدِ قوته. متى جاء ليتمجـــد في قديســـيه ويتعجـــب منه في جمـــيع المؤمنين » ٢ تسالونيكي١:٦-١٠.

وهكذا ستُفرغُ الأرض إفراغا من سكانها، أذ يكون جميع الأشـــرار أمواتـــاً وجميع الأبرارِ في السماء مع المسيح.

هل أنت في أمان؟

لسوف تكون، أيها القاريء العزيز، مع أحد هذين الفريقيـــن عنـــد مجـــيء المسيح. وموعد هذا المجيء قد أضحى وشيكا جدا. قد نشكّ في ذلـــك الآن. إلا أنّنا سنُرغم في ذلك الحين على مواجهة الامر. هل بوسعك أن تقف أمام ديـــان الجميع في ثبات وثقة؟ هل ترتعد حين تفكّر في هذا الامر؟ هل أنت في المسيح؟ هل أنت في أمان؟ هل أنت مستعدُ للقاء إلهك؟ إن لا، فإني أتضـــرع إليـــك أن تطلب الرب ما دام يوجد، قبل أن تُغلَقَ دونَك أبوابُ الرحمة، آمن بهذه الرســـالة التي وضعتها العناية بين يديك، وسلّمه زمان قلبك.

ولربما كنت مؤمنا من قبل. إن كان كذلك فعسى أن تستحثَّك هذه الرســـــالة على المضي في رحلتك صوب السماء. لقد أحبك المسيح، أيـــــها الأخ، حبّـــا لا يُستقصى، فمن ثَمَّ يجب أن تكون غيرتُك لعمله ومجده بنسبة حبّه. ولقد أوشـــك السيد أن يأتي وأجرتُه معه ليجازي كل واحد كما يكون عمله. ترى أي جـــزاء يدخره لك؟ فانشط، وانهض لعمل الرب. جاهد في سبيل تخليص أقاربك ومـــن يجاورونك من الغضب الآتي. ابلغهم رسالة مجيئه، واستحثّهم علـــى الإيمـــان والتسليم والتأهب لملاقاة الرب. فإنّ الله يهيب بالمؤمنين اليوم أن يهبّوا للعمل، ويجدّوا في تخليص النفوس. ليتك أيها القاريء العزيزُ تستجيب لهذه الدعـــوةَ وتنهض لإتمام عمل الرب في الأرض.

«والآن أيها الأولاد اثبتوا فيه حتى اذا اظهر يكون لنا ثقة ولا نخجل منـــه في مجيئه» «بهذا تكلمت المحبة فينا أن يكون لنا ثقة في يوم الدين. لانه كمـــا هو في هذا العالم، هكذا نحن أيضا» ١ يوحنا٢:٢٨؛٤:١٧.

الفصل التاسع

الألف السّنة ونهاية الأشرار

عند مجيء المسيح، سيُقيّد الشيطان ألف سنة لكي لا يضلّ الأمم. ومتى تمّت الألف السنة سيُحلّ الشيطان من سجنه، ومن ثم يواصل عمل الضلال «زمانا يسيرا» ونورد فيما يلي النص الوحيد في الكتاب المقدس الذي يذكر الألف السنة: «ورأيت ملاكا نازلاً من السماء معه مفتاح الهاوية وسلسلة عظيمة على يده. فقبض على التنين الحية القديمة الذي هو إبليس والشيطان وقيّده ألف سنة. وطرحه في الهاوية وأغلق عليه وختم عليه لكي لا يضلّ الأمم في ما بعد حتى تتم الألف السنة، وبعد ذلك لا بدّ أن يُحلّ زمانا يسيرا. ورأيت عروشا فجلسوا عليها وأعطوا حكما، ورأيت نفوس الذين قُتلوا من أجل شهادة يسوع ومن أجل كلمة الله والذين لم يسجدوا للوحش ولا لصورته ولم يقبلوا السمةَ على جباههم وعلى أيديهم فعاشوا وملكوا مع المسيح ألف سنة. وأمّا بقية الأموات فلم تعش حتى تتمّ الألفَ السنة. هذه هي القيامة الأولى» رؤيا٢٠:١-٥.

كلُّ نظرية يُنادى أو يُعلّم بها يجب أن تنسجمَ مع هذا النص، إذ، كما أسلفنا، بأنّ هذا هو النص الوحيد الذي يذكر صريحا مدة الألف السنة. وهو لا يتضمن أدنى ما يشير إلى النظريات التي استخلصها الناس من تحريفه، كقولهم بألف سنة يعمّها السلام والرضا والخلاص. وإن يكن هذا هو المفهوم العام والسائد لعبارة الألف السنة، إلا أنّ النص لا ينطوي على شيء من ذلك.

تبدأ هذه الألف السنة بمجيء المسيح ثانية. وفي غضون هذه المدة يكون الشيطان مقيدا في مكان يسمى «الهاوية». وذلك للحيلولة دون اشتغاله بتضليل الأمم، ولعقابه أيضا.

وقد استنتج البعض من حقيقة تقييد الشيطان أنّ الألف السنة لا بد من أن تكون فترة سعيدة يسودها السلام ويعمها الرخاء والوئام بين الشعوب، وأن تؤمن الأمم بالإنجيل وتتوب إلى الله، ويترتب على ذلك أن يسرّحوا جنودهم وينضوا عنهم الثياب العسكرية، ويطبعوا سيوفَهم سككا ورماحهم مناجل، ولا يتعلموا الحرب فيما بعد. ولقد درج قادة الدين على ترويج هذه النظرية حتى أصبحت مقبولة على نطاق واسع، إلا أنّها لا تستند بتاتا إلى أي تصريح من كتاب الله.

ولم يرد في أسفار الوحي ما يحملنا على الأخذ بالافتراض القائل بأن جميع الامم ستقبل، قبل نهاية العالم، إنجيل المسيح وتكفّ عن الحروب. بل على النقيض من ذلك نرى أنّ الوحي ينفي بشدة مثل هذا الافتراض.

والآية التي بُنِيَ عليها الكثير من هذه الاراء القائلة بتوبة العالم إلى الله قبيل مجيء المسيح في المجد وردت في متى٢٤:١٤:

«ويكرز ببشارة الملكوت هذه في كلّ المسكونة شهادة لجميع الأمم. ثم يأتي المنتهى» إلا أنّ هذه الآية لا تفيدُ شيئا من هذا على الاطلاق. وإنّما تصرح بأنّه سيكرز بالإنجيل في العالم أجمع، وليس حتما لتجديد العالم، وإنما «شهادة» لجميع الأمم.

وفي مثل الزوان والحنطة الوارد في متى١٣: ٢٤-٣٠و٣٦-٤٠ يظهر جليا أنّ الأبرار والأشرار «ينميان معا» إلى وقت «الحصاد» الذي فسره المسيح بـ «انقضاء العالم» فعند انقضاء العالم، بدلا من ان يتجدّد جميع الأشرار، سوف يطرحون في أتون النار حيث يكون البكاء وصرير الأسنان.

العالم يتقدم من سيء إلى أسوأ

ويصرح الوحي: «ولكن الناس الأشرار المزورين سيتقدمون إلى أردأ» ٢ تيموثاوس٣: ١٣.

* (حيث أن الأبرار المقامين والأحياء سيتغيرون ويلبسون عدم موت وعدم فساد ثم يختطفون على السحاب لملاقاة الرب في الهواء ويصعدون مع المسيح لبيت الآب السماوي، ومن ناحية أخرى فالأشرار الأحياء سيموتون من مجد المسيح الباهر ويلحقون بالأشرار الموتى ... فحينئذٍ يكون الشيطان وحده لا يجد أحداً يضله على الأرض. ويظل سجينا مدة١٠٠٠ سنة إلى أن تنزل مدينة أورشليم بيسوع والقديسين على الأرض. وبعدها تحدث قيامة الأشرار وينشط الشيطان ليضلّ الأمم ويكوّن منهم جيشاً جراراً ليأخذوا معسكر القديسين، فتنزل نار من السماء من عند الله فتأكل إبليس وجنوده ... هذا هو الموت الثاني، طوبى للذي له نصيب في القيامة الأولى).

ويصرح المسيح نفسه، في معرض الحديث عن الأيام الذي تسبق مجيئه الثاني مباشرة بأنّه: «كما كان في أيام نوح كذلك يكون أيضا في أيام ابن الإنسان. كانوا يأكلون ويشربون ويزوجون ويتزوجون إلى اليوم الذي فيه دخل

نوح الفلك وجاء الطوفان وأهلك الجميع. كذلك أيضا كما كان في أيام لوط كانوا يأكلون ويشربون ويشترون ويبيعون ويغرسون ويبنون. ولكن اليوم الذي فيه خرج لوط من سدوم أمطر نارا وكبريتا من السماء فأهلك الجميع. هكذا يكون في اليوم الذي فيه يظهر ابن الإنسان » لوقا١٧: ٢٦-٣٠.

وعليه، فكل ما يعوزنا، لكي نقف على حالة العالم قبيل مجيء المسيح، هو أن نتمثل الحالة التي سادت العالم قبيل الطوفان، وسادت سدوم وعمورة قبيل فنائهما. أما عن الأحوال التي سادت العالم في أيام الطوفان فنقرأ: «ورأى الرب أنّ شرّ الإنسان قد كثر في الأرض. وأنّ كل تصور أفكار قلبه انما هو شرير كل يوم » تكوين٦: ٥.

أزمنة صعبة

وقد رسم لنا الوحيُ، في وصف الأيام الأخيرة من تاريخ الأرض، صورة قاتمة هذا نصها: «ولكن اعلم هذا انه في الأيام الأخيرة ستأتي أزمنة صعبة. لان الناس يكونون محبين لانفسهم محبين للمال متعظمين مستكبرين مجدفين غير طائعين لوالديهم غير شاكرين دنسين. بلا حنو بلا رضى ثالبين عديمي النزاهة شرسين غير محبين للصلاح. خائنين مقتحمين متصلفين محبين للذات دون محبة الله. لهم صورة التقوى ولكنهم منكرون قوتها. فاعرض عن هؤلاء » ٢ تيموثاوس٣: ١-٥.

من المحقق أنّ هذا النص لا يتمشى ونظرية تجديد العالم. فهنا قائمة مطولة تضم تسع عشرة خطية شنيعة حشدت جميعها في وصف « الأيام الأخيرة ».

والمدهش في هذا النص أنّ الذين يتصفون بهذه الشرور والآثام ليسوا من عامة الناس وإنما هم أعضاء الكنائس. وهذا واضح من قوله «لهم صورة التقوى». فإن كانت الكنيسة التي دعي اسم المسيح عليها يصفها قلم الوحي بهذه الأوصاف، فماذا يكون من حال العالم عامة؟!

إن الله قد أوكل إلى البقية الباقية من شعبه أي خاصته من المؤمنين الذين يحفظون وصايا الله وإيمان يسوع، أن يذيعوا إلى المسكونة رسائل الملائكة الثلاثة الأخيرة قبيل مجيء الرب العظيم قائلين:

أ – خافوا الله وأعطوه مجداً لأنه قد جاءت ساعة دينونته واسجدوا لصانع السماء والبحر وينابيع المياه.

ب – سقطت سقطت بابل العظيمة التي سقت الأمم من خمر غضب زناها.

ج – إن كان أحد يسجد للوحش ولصورته أو يقبل سمته على يده أو جبهته فهو أيضا سيشرب من كاس غضب الله المصبوب صرفاً في كأس غضبه.

«واما الأزمنة والأوقات فلا حاجة لكم أيها الاخوة أن اكتب إليكم عنها. لأنكم تعلمون بالتحقيق أنّ يوم الرب كلص في الليل هكذا يجيء. لأنّه حينما يقولون سلام وأمان حينئذ يفاجئهم هلاك بغتة كالمخاض للحبلى فلا ينجون» ١ تسالونيكي٥: ١-٣، فيتضح إذاً أنّ هذه الحركة التي تنادي بتجديد العالم إنّما هي دليل، في ذاتها، على الهلاك الباغت الذي سيعاجلهم.

ولكن يسألُ سائلٌ، ألا يصرّح الوحي، في مكان مان بأنّ العالم كله سيمتليءُ في المستقبل من معرفة الله كما تُغطي المياه البحر؟ نعم يصرّح الوحي بشيءً

كهذا. ولكنّ الخطأ يكمن في كونهم لا يلاحظون أنّ هذا التصريح قد ورد مقترناً بالأرض بعد تجديدها حين يصنعُ كلَّ شيءٍ جديدا، وليس بالأرض في حالها الراهنة.

«لان الأرض تمتليء من معرفة الرب كما تغطي المياه البحر» إشعياء١١:٩.

«ويكون من هلال إلى هلال ومن سبت إلى سبت أنّ كل ذي جسد يأتي ليسجد أمامي قال الرب» إشعياء٦٦:٢٣.

يشير هذان النصان إلى وقت فيه يتعرّف كلُّ سكان الأرض بيهوه، ويسجدون له. إلا أنهما يشيران بالتحديد إلى الأرض الجديدة، وليس إلى الأرض في حاضرها. كما أنّ هذه الحال التي فيها يسجدُ لله «كلُّ ذي جسدٍ» لن تكون نتيجة لتجديد الأرض، وإنما بالحري لهلاكها. هكذا يقول بطرس: «ولكن سيأتي كلصٍّ في الليل يومُ الرب الذي فيه تزول السماوات بضجيجٍ وتنحلُّ العناصر محترقة وتحترق الأرض والمصنوعات التي فيها ... ولكننا بحسب وعده ننتظر سماواتٍ جديدةً وأرضاً جديدة يسكن فيها البرّ» ٢ بطرس٣:١٠و١٣.

ترتيب الحوادث

ولنحاول بإيجاز درس ترتيب الحوادث التي تقع في نهاية الألف السنة. عند مجيء المسيح سيُقام جميعُ الأبرارِ الأموات من قبورهم ليؤخذوا إلى السماء مع الأبرار الباقين على قيد الحياة. «لان الرب نفسه بهتاف بصوت

رئيس ملائكة وبوق الله سوف ينزل من السماء والأموات في المسيح سيقومون أولا. ثم نحن الأحياء الباقين سنُخطف جميعا معهم في السحب لملاقاة الرب في الهواء. وهكذا نكون كل حين مع الرب » ١ تسالونيكي٤:١٦و١٧.

ويصرّح الكتاب المقدس بأنّه ستكون قيامتان، قيامة الأبرار، وقيامة الأشرار. «لا تتعجبوا من هذا. فانه تأتي ساعة فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته. فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة والذين فعلوا السيآت إلى قيامة الدينونة » يوحنا٥:٢٨و٢٩.

ستجري القيامة الأولى عند مجيء المسيح، ولسوف تقتصر على الأبرار فقط. ويتضح هذا من قوله: «مبارك ومقدس من له نصيب في القيامة الأولى، هؤلاء ليس للموت الثاني سلطان عليهم » رؤيا٢٠:٦.

فواضح اذاً أنه عند مجيء المسيح سيختطِفُ جميعَ الأبرار، الأموات المقامين، والأحياء المتغيرين يُختطفون معا لملاقاة الرب في الهواء، ومن ثم يؤخذون مع الرب إلى تلك المنازل التي في بيت ابيه والتي يباشر الآن إعدادَها لشعبه. يؤخذون إلى السماء حيث يملكون مع المسيح ألف سنة. يوحنا١٤:١-٣؛ رؤيا٢٠:٤.

إفراغ الأرض من السكان

وبما أنّ الأموات الأشرار لا يقومون عند مجيء المسيح، فإنّ صعود الأبرار إلى السماء لن يخلف وراءه إلا الأشرار الأحياء. وهؤلاء بدورهم سيموتون من

بهاء مجد المسيح في مجيئه. ويُستبان هذا من تصريح الرسول في٢تسالونيكي١:٧-٩.

ومن حيث أنّ الأبرار يكونون جميعا في السماء، والأشرار يكونون جميعا موتى على وجه الأرض، فإن الأرض تمسي خالية من سكانها. ولنا في سفر إرميا وصفٌ دقيق لحالة الأرض في ذلك الحين: «وتكون قتلى الرب في ذلك اليوم من اقصاء الأرض إلى اقصاء الأرض لا يندبون ولا يضمون ولا يدفنون، يكونون دمنة على وجه الأرض» إرميا٢٥:٣٣ «هوذا الرب يخلي الأرض ويفرغها ويقلب وجهها ويبدد سكانها ... تفرغ الأرض افراغا وتنهب نهبا لأنّ الرب قد تكلم بهذا القول» إشعياء٢٤:١و٢ «نظرت واذا الأرض خربة وخالية وإلى السماوات فلا نور لها. نظرت إلى الجبال واذا هي ترتجف وكل الآكام تقلقلت. نظرت واذا لا إنسان وكل طيور السماء هربت. نظرت واذا البستان برّية وكل مدنها نُقضت من وجه الرب من وجه حمو غضبه. لأنّه هكذا قال الرب، خرابا تكون كلُّ الأرض ولكنني لا أفنيها» إرميا٤:٢٣-٢٧.

فواضح اذاً أنّ حالة الأرض خلال فترة الالف السنة ستكون خرابا يبابا. كلُّ أعمال الإنسان وكل آثار المدنية ستنهار وتنهدم والأرض يلفها ظلام كثيف.

فالارضُ وهي في هذه الحال قد دُعيت بـ «الهاوية»، ويطلق هذا الاسم، في الأصل، على أي بقعة خالية موحشة خربة. في هذه «الهاوية» نُفي الشيطان. وسيُرغم على البقاء فيها ألف سنة. ولا يستطيع أن يخدع الأشرار، لأنهم أموات. وبهذا لم يعد أمامه مجال للعمل. وسيظل راسفاً في هذا القيد إلى أن يُحلّ لمدة قصيرة في نهاية الألف السنة.

جزاء عادل

بيد أنّ هذه الحال ليست بالعقاب الأخير الذي سينزل بالشيطان، إلا أنها عقاب تمهيدي. فالخطية هي علة بلاء العالم.ومصدر بؤسه وشقائه. وهي من نسج الشيطان وإبداعه. فهذه الحالة التي يشهدها أمامه إنّما نجمت عن العصيان الذي ابتدأه في السماء واستأنفه على هذه الأرض. وفي غضون هذه الالف السنة يظلّ يتفرّس ويتأمل، ويطيل التفرّس والتأمّل فيما أفضت إليه تجاربه ومحاولاته.

إلا أنّ هذه السلسلة العظيمة التي سيقيد بها الشيطان سوف تتحطّم عند قيامة الأشرار.

« اما بقية الأموات فلم تعش حتى تتم الالف السنة » رؤيا ٢٠:٦.

يفهم من ذلك أنّه متى تمت الألف السنة فإنّ هذه البقية ستحيا من جديد. فقيامة الأشرار اذاً ستجرى في تمام الالف السنة.

ولا يكاد الأشرار يُبعثون من الموت حتى يأخذ الشيطان في إعداد المحاولة الأخيرة لقلب حكومة الله. وحين يقوم الأشرار سيكون تحت إمرتِه جيش من العصاة لم يسبق له مثيل في تاريخ الأرض. فجميع الأشرار الذين دبّوأ على وجه الأرض ينضمون الآن تحت لوائه، متأهبين لتنفيذ أوامره. وكذلك الملائكة الذين طُردوا معه من السماء لا يزالون في معيّته وهم في حالة من القنوط والاستماتة لا يخشون معها اسوأ العواقب.

وفي ختام الألف السنة ستنزلُ المدينةُ المقدسة، أورشليم الجديدة، من السماء وتستقرّ على الأرض. في ذلك الحين سيكون الأشرار في الأرض حيث يُباشر الشيطانُ وأعوانُه تنظيمهم وتقسيمهم إلى فرق وكتائب. أما المدينة الجميلة فستستقرّ بمجدها وبهائها في الموضع المعدّ لها أمام عيون الأشرار. وسيسكن في المدينة مفديوّ الرب الذين ملكوا مع المسيح ألف سنة.

«وانا يوحنا رأيت المدينة المقدسة أورشليم الجديدة نازلة من السماء من عند الله مهيأة كعروس مزينة لرجلها. وسمعت صوتا عظيما من السماء قائلا هوذا مسكن الله مع الناس، وهو سيسكن معهم وهم يكونون له شعبا والله نفسه يكون معهم الهاً لهم» رؤيا٢١:٢و٣.

عند قيامة الأشرار سيُطلق سراح الشيطان. وتلتف حوله جماهيرُ من الملائكة الأشرار، وينضم إليهم جمع غفير حاشد لا يُعدّ من البشر الأشرار. وحين يلقي الشيطان نفسه محوطا بذلك الحشد الهائل، ويرى أمامَه أورشليم الجديدة تزدان بالأبرار والملائكة الأطهار وعلى رأسهم قائدُهم المحبوب، عمانوئيل، يقرّر في استماتةٍ وعزمٍ أن لا يكفّ عن القتال. ويوحي إلى جنوده بما يبعث على الأمل في أنهم سيقبلون حكومة الله، ويستولون على المدينة.

الإغارة على المدينة المقدسة

بقيادة الشيطان يزحف ذلك البحر الهائج من الأشرار يحدوه ذلك الأملُ الخادع للاستيلاء على المدينة المقدسة.

«ثم متى تمت الالف السنة يحل الشيطان من سجنه. ويخرج ليضل الأمم الذين في أربع زوايا الأرض جوج وماجوج ليجمعهم للحرب الذين عددهم مثل رمل البحر. فصعدوا على عرض الأرض وأحاطوا بمعسكر القديسين وبالمدينة المحبوبة فنزلت نار من عند الله من السماء وأكلتهم» رؤيا٢٠:٧-٩.

فاذ يحاوط الأشرار المدينةَ، ويُحدقون بها، تنزل نارُ الله من السماء، وتلتهم الأشرار من البشر والملائكة العصاة، فلا تُبقي ولا تَذَرْ. هذا هو الموت الثاني الذي لا حياة بعده، تأمل ما يقوله الوحي عن مصير الأشرار في الآيات التالية:

(سيموتون) حزقيال١٨:٤؛ رومية٦:٢٣. سيموتون «الموت الثاني» رؤيا٢٠:١٤و١٥. (سيهلكون) مزمور١٤٥:٢٠. (يهلكون ويفنون) مزمور٣٧:٢٠. (يحرقون) متى٣:١٢؛ ملاخي٤:١. «تطلع في مكانه فلا يكون» مزمور٣٧:١٠. «يبادون» مزمور٣٧:٣٨. «تأكلهم النار» مزمور٢١:٩. «يقطعون» مزمور٣٧:٩. «ويكونون كأنهم لم يكونوا» عوبديا١٦. «يمحوا من سفر الأحياء» مزمور٦٩:٢٨. (يسحقون) متى٢١:٤٤.

مصير الشيطان

لا شكّ في أنّ هذه التعبيرات، مع سائر ما أوردناه في المواضيع السابقة، في هذا الكتاب، كافية لتقرير الحقيقة أن الوحي لا يعلّم بمبدأ العذاب إلى ما لا نهاية. إنّ هذا المبدأ قد ابتدعه الشيطان نفسه في جنة عدن حين قال لحواء

أنهما اذ عصيا الله لن يموتا، في حين قال الله لهما صراحة «موتا تموتا» فإنّ التعليم بفكرة العذاب الدائم ليس له أي سند في أقوال الله. فإنّ النار التي ستنزل من السماء في ختام الألف السنة سوف تفنيهم جميعا. وسيعاقب كل واحد «بحسب أعماله» (رومية٢:٦) فالبعض يكابدون في النار عذابا أطول وأشدّ من عذاب البعض الآخر. بنسبة ما كان شرّهم، إلا أنّ النار في النهاية ستقضي على الجميع، وتفنيهم فناء تاما.

وكذلك سيكون لهذه النار التأثيرَ عينَه في الشيطان وملائكته. فهم بدورهم سيبيدون. ولا شكّ في أنّ عذاب الشيطان سيدوم أطول من عذاب الآخرين، بوصفه كان السبب في سقوط الجميع. إلا أنّ النار ستلتهمه هو أيضا، ولن يكون فيما بعد. وهذا واضح كلّ الوضوح فيما قاله الله مخاطبا الشيطان: «أبيدك أيها الكروب المظلل بين حجارة النار ... سأطرحك إلى الأرض واجعلك أمام الملوك لينظروا اليك ... أخرج نارا من وسطك فتأكلك واجعلك أمام رمادا على الأرض أمام عيني كل من يراك. فيتحيّر منك جميع الذين يعرفونك بين الشعوب وتكون أهوالا ولا توجد بعد إلى الأبد» حزقيال٢٨:١٦-١٩.

كما وردت أيضا في سفر ملاخي إشارة إلى مصير الشيطان: «فهوذا يأتي اليوم المتقد كالتنّور وكل المستكبرين وكل فاعلي الشر يكونون قشّا ويحرقهم اليوم الآتي قال رب الجنود فلا يبقي لهم أصلا ولا فرعا» ملاخي٤:١.

وهكذا تنتهي المعركة العظمى التي دامت أجيالا طوالا بين المسيح والشيطان بفناء الشيطان وملائكته وكل من تحالف معهم. فإنّ نار اليوم الأخير ستحرقهم عن بكرة أبيهم فلا تبقي لهم أصلا ولا فرعا. الشيطان هو الأصل

والأشرار هم الفروع. فلن يبقي أثرُ للخطية ولا للخطاة، هكذا سيُطّهر الكـــــون بأسره من كلِّ لوثة للخطية.

الفصل العاشر

جَزاء الأبرار

لن يقضي شعب الله الأبدية في السماء. ولسنا نجد في كتاب الله وعدا يفيد بأنّ المفديين سيُعطون السماء داراً أبدية. على حين نجد العديد من الوعود بميراث مجيد لقديسي الرب فيما بعد قيامة الأموات. أما عن نوع هذا الميراث واين يكون فالوحي يبين عن ذلك بوضوح تام.

صرح داود بأنّ «السماوات سماوات الرب، أما الأرض فأعطاها لبني آدم» مزمور١١٥:١٦ وفي إشعياء٤٥:١٨ نقرأ بأنّ الله مصور الأرض «لم يخلقها باطلا. للسكن صورها» ولا يعقل أنّ الله خلق الأرض لتسكن في الأحوال الراهنة، أو بسكانها الراهنين. وإنّما قصد أن يسكن الأرض جنسٌ من الكائنات يكون طاهرا مقدسا بارا. كان ذلك قصده الوحيد حين خلق أبوينا الأولين واسكنهما في جنة عدن. وكان لهذا الجنس البشري أن يملأ الأرض، ويحيا إلى الأبد، ويظل أبدا طاهرا ومقدسا كما كان يوم خلقه الله، ويعمل على تنظيم ملكوت الله على الأرض. ولكن دخول الخطية أخّر تنفيذ هذا التدبير، إلا أنّ الله متمم قصده على كل حال.

افتداء الأرض

لقد أُعطيت هذه الأرض للجنس البشري عند خلقها. ورغم أنّ الشيطان استولى عليها، إلا أنّ هذا الميراث المغتصب سيرد للمؤمنين بحكم تدبير الفداء العظيم، الذي يشمل الميراث الضائع كما يشمل الجنس البشري الضائع. لقد خسر الجنس البشري بالخطية ملكيته للأرض، إلا أنّها ستردُّ لشعب الله بفضل إنجيل المسيح. كما سيُردُّ له، بنعمة الله، سائرُ ما خسره بالخطية.

إنّ أولَ وعد صريح ورد في كتاب الله بشأن الميراث العتيد هو ذاك الذي أُعطي لإبراهيم، والمدون في تكوين١٣:١٤-١٧. «أرفع عينيك وانظر من الموضع الذي أنت فيه شمالا وجنوبا وشرقا وغربا. لأن جميع الأرض التي أنت ترى لك أعطيها ولنسلك إلى الأبد» وتكرر هذا الوعد لإسحق ابن إبراهيم، كما نجد في تكوين٢٦:١-٤ وليعقوب ابن اسحق، كما نجد في تكوين٢٨:١٢-١٥.

إلا أنّه لم يرد في مضمون هذا الوعد ما يحدد مساحة الاراضي، فمن ثَمَّ تمسّ الحاجة إلى بيان إلهي. وقد قدم الرسول بولس هذا البيان الإلهي في رومية٤:١٣ حيث صرح بأنّ ذلك الوعد الذي أعطي لإبراهيمَ إنّما يشتمل على العالم بأسرِه: «فإنه ليس بالناموس كان الوعد لإبراهيم أو لنسله أن يكون وارثا للعالم بل ببرّ الإيمان».

إنّ هذا الوعد لم يتم بعد. وقد صرح بولس الرسول في سياق الحديث عن الأشخاص الذين أُعطي لهم هذا الوعد – كإبراهيم واسحق ويعقوب وأنسالهم، في (عبرانيين١١:١٣) بأنّ «في الإيمان مات هؤلاء أجمعون وهم لم ينالوا

المواعيد بل من بعيد نظروها وصدقوها وحيّوها وأقروا بأنهم غرباء ونزلاء على الأرض ».

القيامة جزء من الموعد

وعليه فبما أنّ الله وعد بالأرض لولئك المؤمنيين القدماء، وهم قد ماتوا من غير أن يتمّ هذا الوعد، وبما أنّ الله لا يحنثُ في وعوده، وجب أنّ تكون قيامةُ الأموات جزءاً مشمولا بهذا الوعد. فلكي يتمم الله وعدَه لإبراهيم أبي المؤمنيين يتوجّب أولا أن يقام من الموتِ ويحيا على هذه الأرض مرّة أخرى. فواضح اذاً أنّ قيامة الأمواتِ مشمولة بذلك الموعد العظيم.

ويتمشى مع هذه الملاحظة قول الله في حزقيال٣٧:١٢-١٤: «هكذا قال السيد الرب هأنذا أفتح قبوركم وأصعدكم من قبوركم يا شعبي وآتي بكم إلى أرض إسرائيل فتعلمون أني أنا الرب عند فتحي قبوركم وإصعادي إياكم من قبوركم يا شعبي. وأجعل روحي فيكم وأجعلكم في أرضكم فتعلمون أني أنا الرب تكلمت وافعل يقول الرب ».

ولربَّ سائل يسأل ترى ما دخل المسيحيين بمثل هذه المواعيد القديمة التي أُعطيت لآباء إسرائيل؟ دخل كبير من كلّ وجه. المسيحيون والمؤمنون اللاحقون كافة معنيّون بالوعد الذي أعطي لإبراهيم، اذ يقول بولس في غلاطية٣:٧ «اعلموا أنّ الذين هم من الإيمان أولئك هم بنو إبراهيم » وفي العدد التاسع والعشرين من الاصحاح نفسه يقول: «فان كنتم للمسيح فانتم اذاً نسل إبراهيم وحسب الموعد ورثة ».

فالوعد الوحيد اذاً الذي لنا، نحن المسيحيين المؤمنين، بشأن ميراث الأرض، هو الوعد القديم عينه الذي أُعطِيَ أولا لإبراهيم. فنحن نصبح ورثة للوعد بصيرورتنا للمسيح، اذ نصير بذلك من نسل إبراهيم الذي أُعطِيَ له ذلك الوعد. فوعد الله اذاً للمسيحيين جميعا ليس أن يقضوا حياتهم الأبدية في السماء، وإنما أن يصيروا بالمسيح ورثة مع إبراهيم للأرض، ويقضوا الأبدية السعيدة في الأرض بعد تطهيرها وتجديدها.

وتتفق مع هذا سائر الوعود الواردة في إشعياء٦٥:١٧: «لاني هأنذا خالق سماوات جديدة وأرضا جديدة فلا تذكر الأولى ولا تخطر على بال» وفي٢بطرس٣:١٣: «ولكننا بحسب وعده ننتظر سماوات جديدة وأرضا جديدة» وفي متى٥:٥: «طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض» وأيضا في مزمور٣٧:١١: «أما الودعاء فيرثون الأرض، ويتلذذون في كثرة السلامة».

وفي ذلك الحين سيتم أيضا الوعد الوارد في (ميخا٤:٨) «وأنتِ يا برج القطيع أكمة بنت صهيون إليك يأتي ويجيء الحكم الأول ملك بنت أورشليم».

تجديد الأرض

إنّ النار التي تبيد الأشرار ستطهّر الأرض أيضا. وستصبح المدينة المقدسة عاصمةَ الأرض الجديدة، وستصبح الأرضُ كلها شبيهة بجنة عدن الأولى. لسوف «تفرح البرية والأرض اليابسة ويبتهج القفر ويزهر كالنرجس ... يدفع اليه مجد لبنان بهاء كرملَ وشارون» إشعياء٣٥:١و٢. أو بعبارة أخرى

ستصير الأرض كما قصد الله لها أن تكون منذ البدء، المسكن المؤبّد لشعب الله. وهكذا يعود للكنيسة «الحكم الأول».

وبعد فناء الأشرار وتطهير الأرض، سيخرج الأبرار من المدينة المقدسة لتعمير الأرض وتعهُدها، «يبنون بيوتا ويسكنون فيها، ويغرسون كروما ويأكلون أثمارها» إشعياء٦٥:٢١. وستصبح الأرض عامرةً وآهلة بالمفديين. أما الخطية فلن يبقى منها الأثر. وليس ثمة ما يهدد الإنسان. فالسلام والأمن والقناعة والرضى والسعادة تملأ جوانح كلِّ فرد.

ويكون أنه في كل شهر وفي كل سبت يصعد سكان الأرض الجديدة إلى أورشليم الجديدة لتقديم فروض العبادة لملك الملوك. إشعياء٦٦:٢٢و٢٣. وفي المدينة المقدسة سيشترك المفديون في التناول من ثمر شجرة الحياة. وهنا يتمشى الأبرار في مرح وانشراح بين الخمائل المترامية على جانبي نهر ماء الحياة الذي يخرج «من عرش الله والخروف» رؤيا٢٢:١و٢.

لا خطية فيما بعد

«ولا تكون لعنة ما في ما بعد» رؤيا٢٢:٣. لقد زالت الخطية من الوجود، زالت لغير رجعة. ولقد شهد جميع الكائنات العاقلة في كون الله الفسيح أن عدالة الله امر لا يغزوه شكّ ولا ترقى إليه شبهة. اذ رأوا عواقب التعدّي والعصيان. وشكرا لله على وعده بأنّه لن يقوم للخطية قائم بعد اليوم: «هو صانع هلاكا تاما، لا يقوم الضيق مرتين» ناحوم١:٩.

وفي تلك الأرض الماجدة البهّية يقول: «ويسكن شعبي في مسكن السلام وفي مساكن مطمئنة وفي محلات امينة» إشعياء٣٢:١٨. «لا يسمع بعد ظلم في أرضك ولا خراب أو سحق في تخومك بل تُسمّين أسوارك خلاصا وأبوابَك تسبيحا» إشعياء٦٠:١٨ «عوضا عن الشوك ينبت سرو وعوضا عن القريس يطلع آس. ويكون (هذا) للرب اسما علامة أبدية لا تنقطع» إشعياء٥٥:١٣ « وسيمسح الله كلّ دمعة من عيونهم والموت لا يكون في ما بعد، ولا يكون حزن ولا صراخ ولا وجع في ما بعد لأن الامور الأولى قد مضت» رؤيا٢١:٤ «ولا يقول ساكن أنا مرضت، الشعب الساكن فيها مغفور الاثم» إشعياء٣٣:٢٤.

وستكون أورشليم الجديدة «اكليلَ جمال بيدِ الربِ، وتاجا ملكيا بكفّ الهك» إشعياء٦٢:٣ «لها مجدْ الله ولمعانُها شبه اكرم حجرٍ كحجر يشبٍ بلوري» رؤيا٢١:١١ «وتمشي شعوب المخلصين بنورها وملوكَ الأرض يجيئون بمجدهم وكرامتهم اليها» رؤيا٢١:٢٤ «ولا يكون ليل هناك ولا يحتاجون إلى سراج أو نور شمس لأن الرب الإله ينير عليهم وهم سيملكون إلى الأبد» رؤيا٢٢:٥.

وفي الأرض الجديدة «سأعرف كما عُرفت» ١ كورنثوس١٣:١٢. سيجمع الله شملَ الأصدقاء والخلان الذين فرق الموت بينهم، وسيعرف بعضُهم بعضاً في ذلك الحين كما يعرف بعضهم بعضا الآن، وسيزداد حبّهم، ويزداد تبعا لذلك شوقهم وحنينهم، وسيطّرِد ازديادُه على مدى الادهار. كما أنّ النشاط الذهني في كل مناحيه سينمو ويزدهر، وتشتدّ قابليتُنا ويتزايد اقبالنا على اغتراف المعارف والعلوم. لن نشرع في القيام بأي امر ونعجز عن البلوغ به إلى الكمال. ولن يكون ثمّةَ أمل يستحيل تحقيقه. وسيصبح في الإمكان حينئذ ان نتنقل بين

الكواكب والمجموعات، كالطيور الرحالة، للتوفر على دراسةِ كنوز الحكمة والعلم التي يحتويها كون الله الفسيح. وسيكون رفقاؤنا وعشراؤنا في هذه الاسفار ملائكة الله والكائنات العاقلة غير الساقطة من العوالم الأخرى.

إلى ما لا نهاية

ولكل ذلك لا نهاية. ففيما تدور عجلة الأبدية لن يداخلنا خوف أو توجس من أنّ الأعوام القادمة ستضع حدا لسعادتنا. فعلى مرّ الأجيال وكر الدهور تبقى الأبدية أمامنا لا يحدها الفكر ولا يستقصيها الخيال.

فيا اخي، في الإنسانية، إني أريد نصيبا في تلك الأرض الجديدة المجيدة. وأنت، ألا تريد أيضا أن تكون هناك؟ عما قليل تزول الخطية والخطاة. ويوم الرب يدنو وشيكا. لا تخدعنّك أضاليلُ الشيطان، فهو لا يعنيه إلا أسرُك والإيقاعُ بك. إنّ رسالة المجيء الثاني يُنادى بها الآن في كلّ أطراف الأرض، تهيب بالناس ان يستعدوا لملاقاة الرب للدخول معه إلى أفراح المجد. فتعال اذاً إلى المسيح، منقذ الهالكين، والتمس من الله الرحمة. أطرح عنك خطاياك، وتب إلى الله عن كلّ شرّ، وعن كلِّ فكرٍ باطلٍ، واتخذه لك فاديا وصديقا. فإنّه من أجلك بذل حياتَه، لكي يكون لك نصيبُ في ذلك الميراث الأبدي الذي لا يفنى ولا يضمحل. لا تتوانَ أيها الاخُ، قم، وقف شاهدا للرب وللحق في هذه الأيام الأخيرة. قد تناهى الزمن واشرف التاريخُ على الختام. والربُّ قريبُ. ويا ليتك، أيها الأخ، تكون في عداد من يناديهم الفادي الحبيب بهذه الكلمات: «تعالوا يا مباركي أبي رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم» آمين ثم آمين.